عباس منعثر

مأساة روما

مسرحيات

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق - 2003

الإهداء ....

إلى أبي

أسنان الحصان: كم هي؟

موقعُ الحقيقةِ من حركةِ الأشياء

حازت على جائزة أفضل نص في مهرجان
منتدى المسرح في البصرة- لدورة 2001

الشخصيات

رجل1
رجل 2
رجل3
رجل 4
المكان:
أي مكان مغلق.
الزمان:
أي زمان مفتوح.

«حدث ذات يوم أن اجتمع نفر من المفكرين في القرون الوسطى، وأخذوا يتجادلون حول أسنان الحصان: كم هي؟ وظلوا يتجادلون ويتقاذفون بالوسائد والنعال، مع العلم أن الحصان كان موجوداً في إسطبل قريب وكانوا قادرين على أن يذهبوا إليه ليعدوا أسنانه...»

الحلم بين العقيدة والعلم- ص 225

« حدث دائماً أن يُحتجز نفر من الناس، في أي مكان أو زمان، ويُجبروا على إراقة حياتهم في التفكير في أسنان الحصان أو الحمامة: كم هي؟ »

المؤلف

المشهد الأول

(ثلاثة رجال، كل في زاوية، يتأملون، يدخل رجل4 بين آن وآخر، ويسألهم بطريقة هزلية: ها، أين وصلتم أو "وين وصلتو"، ويعود دون أن ينتظر إجابة ما)

رجل 1 : المسألةُ محيرة.

رجل 3 : هي كذلك.

رجل 1 : وبسيطة.

رجل 3 : (تأمل قصير) أظنّ ذلك.

رجل 1 : قالوا لنا الرقمَ المطلوب، واشترطوا أن لا نُجيبهم به، لكن كم؟

رجل 3 : (كعادته في الموافقة) نعم كم؟

رجل 1 : (يجد الحل) فلنتفقْ على رقمٍ معين.

رجل 2 : (منتفضاً) لِمَ؟

رجل 3 : كم.

رجل 2 : لِمَ

رجل 3 : كم هو السؤال وليسَ لِمَ يا عاقل.

رجل 2 : (كأخطر سؤال يمكن أن يُطلق) لِمَ كلُّ هذا؟

رجل 1 : (لحسم الجدال) الجوهرُ يا أصدقاء يقبعُ في "كيف"، فهي مفتاحُ الحل.

رجل 3 : نعم "كيف" هي مفتاحُ الحل.

رجل 2 : (باندفاع) ما علينا سوى أن نصرخَ بصوتٍ واحد هو...

رجل 1 : (لا يعجبه الصوت الواحد) اششششششش. أعتقدُ أنهم يُفضلونَ رقماً ما.

رجل 3 : ما هو؟

رجل 1 : فلنفكرْ، بدلَ الصراخ.

رجل 2 : علينا أولاً أن نُدركَ السبب في أن نرفضَ الطريقة.

رجل 3 : أيّ رفضٍ باللهِ عليك!

رجل 1 وكأنه يعيشُ في كوكبٍ آخر!

رجل 2 : لكن؛ كيف نعرفُ الطريق ونحن متنافرونَ إلى هذه الدرجة؟

رجل 3 : (منتقلاً من هذه الضفة إلى تلك) فعلاً، نحن محتجزونَ منذ شهر.

رجل 1 : قبل شهر، منذ الخليقة، نحن محتجزونَ وكفى.

رجل 2 : لو قلنا جميعاً العددَ الذي نعرفه لما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً.

رجل 3 : حقاً.

رجل 1 : أنتم لا تعرفونَ كيفَ تجري الأمور.

رجل 3 : (حالماً بالحلول الوسط) ألا توجدُ إجابةٌ مناسبة، لا تكون خاطئةً ولا صائبة؟

رجل 2 : المخادعونَ يفعلون ذلك.

رجل 1 : كلّنا كذلك.

رجل 3 : مخادعٍ صادق لا يُهم، المهمّ أن نتهربَ من الإجابة الخاطئة

رجل 1 : (مباركاً) صحيح.

رجل 3 : يمكن أن نقولَ أن عددَ أسنان الحصان=

(الكل في انتباه)

رجل 3 =عددَ أسنانه.

رجل 2 : والناتج؟

رجل 3 : نفسُ العددِ الموجودِ في فمهِ اللعين.

رجل 1 : أحذِّرُ من المجاز، ومن تعددِ التأويلات.

رجل 3 : لِمَ ترفضُ اقتراحي إذن؟

رجل 1 : قد يُعتبر ذلك تعريضاً بهم أو سخرية.

رجل 2 : في الهربِ ضعفُنا.

رجل 3 : (يسكت)

رجل 1 : (لرجل2) أنت فنطازي أو شُجاع أما أنا فلا.

رجل 2 : فماذا ترى أنت أيها الواقعي.

رجل 1 : علينا دراسةُ آلياتهم جيداً، ما يُحبون وما يبغضون، ما يتمنون سماعه وما لا يتمنون، علينا البحثُ في الرغبة لا في الحقيقة.

رجل 2 : (في مواجهة الخارج) الحقيقةُ هي...

(صوت رجل 4:) ها وين وصلتو؟

(يمسك رجل 1 بـ رجل 2 يساعده رجل 3، تلافيا لمواجهته المرتقبة مع

(الخارج)

رجل 1 : قريباً قريباً...

رجل 3 : (مكملاً) إننا في الطريق.

رجل 1 : إلى الاكتشافِ العظيم.

رجل 3 : (مكملاً) شكراً لكم على هذا الاختبارِ العظيم...

رجل 1 : الذي سنحققُ من خلالهِ...

رجل 3 : مصداقَ المقولةِ العظيمة...

رجل 1 : في القدرةِ على اكتشافِ الحقيقةِ بالحدس.

(صمت)

رجل 3 : لو لم نستطع معرفةَ العددِ المطلوب...

رجل 1 : (مصغياً)

رجل 3 : قتلونا بسببه.

رجل 1 : (يطارده) ستبقى دائماً أشدَّ من الحمارِ ذكاءً، طبعاً سيفعلون.

رجل 3 : (مماشياً) يفعلون يفعلون..

رجل 1 : لكنني أختلفُ معك: لو لم نُجِبْ كما ينبغي...

رجل 3: كما ينبغي...

رجل 1: قتلونا.

رجل 3: أكيد.

رجل 1: (مبرهناً) انظروا (يمسك رجل 3 من رأسه) نفرض أن هذا الحصان (رجل 3 يرفض) إعتبرْ نفسك حصاناً كي يصحَّ البرهان (يقبل). علينا كي نعرفَ عددَ الأسنان – واقعياً ومنطقياً- أن نُمسكه أولاً.

رجل 2: (مماشياً) وها قد فعلنا.

رجل 1: المقدمةُ تؤدي إلى مقدمةٍ أخرى وهي أن نفتحَ فمه.

رجل 3: (يفتح فمه) نفتحُ فمه.

رجل 1: لدينا إصبع، هذا هو الإصبع، لدينا أسنان: تلك هي، فلا يبقى إذن سوى أن نعدّ.

رجل 3: لا. أسنان الإنسانِ معروفةٌ ولا تحتاجُ إلى برهانَ، يعرفها حتى الحصان هي: 20 لبنيةَ و 32 حينما يكبر.

رجل 1: وإذا تسوسَ سنٌّ ما ووقع؛ أيكون العدُّ صحيحاً؟!

رجل 3: لا يكون.

رجل 1 : (بادئاً بالإيقاع بـ رجل 3) إذن، أسنانُ الحصان شيءٌ مجهول لكنّ أسنانَ هذا الحصان أو ذاك هي الشيءُ القابلُ للحساب.

رجل 2 : هي إجابةٌ تُشبه لا نعرف.

رجل 1 : لن نقولَ لا نعرف بشكلٍ مباشر.

رجل 2 : والحكمة؟

رجل 1 : هم يحبونَ التفكيرَ بهذه الطريقة.

رجل 2 : تلوّن حرباء.

رجل 1 : الحبلُ قريبٌ وليس لدينا حيلة.

رجل 3 : تعني أن نماشيهم؟

رجل 1 : وننجو.

رجل 2 : قد يعترضونَ بأنَّ قصدَهم الحصان بشكلهِ العام وبافتراضِ سلامتهِ البدنية والعقلية.

رجل 3 : لا تُغلِقْها في وجهنا.

رجل 2 : لو كان الأمرُ بيدي لقلتُ أن المسألةَ كلُها تافهةٌ وسخيفة ليس فيها ما ينفعُ أو يحيّر، هي لعبةُ مخادعةٌ فحسب.

(يدخل رجل 4) يقول: ها ويختفي)

رجل 1 : (للتغطية على ما قاله رجل 2) نعم، إنها فكرةٌ جهنميةٌ يا أستاذ.

رجل 3 : هي فكرةٌ رائعة.

رجل 1 : (لرجل3- جانباً) لو لم نُقتل بسببِ عدمِ إيجادِ الحلِ لقتلونا بسببه.

رجل 3 : سأبرأ منه كما أبرأ مِنَ الحصان إن نجوت.

رجل 1 : هو أرعن يظنّ نفسَه شجاعاً.

رجل 3 : لكنّ في حجته ذيلاً من المنطق.

رجل 1 : أي منطق! الكلامُ بيننا لو كان في السؤالِ منطق لما حرنا؛ وبما أن كلَّ شيء يمشي عكسَ المنطقِ فعليك أن تستخدمَ المنطقَ بشكلٍ لا منطقي للوصولِ إلى اللا منطقِ المطلوب.

رجل 2 : (لوحده يغني)

الغرفةُ موصدةُ البابِ
والصمتُ عميقْ
وستائرُ شبّاكي مُرخاةٌ
ربَّ طريقٍ
يتنصتُ لي
يترصدُ بي
خلفَ الشبّاكِ وأثوابي

كمفزعِ بستانٍ سودُ
أعطاها البابُ الموصودُ
نفساً، ذرَّ بها حسَّاً فتكادُ تفيقْ
من ذاكَ الموتِ وتهمسُ بي
والصمتُ عميقْ
لم يبقَ صديقْ
ليزوركَ في اللّيلِ الكابي
والغرفةُ موصدةُ البابِ.

رجل 1: إياكَ وتلاعباتهِ، إنه خَطِرْ.

رجل 3: لم يُخلقْ من يتلاعبُ بي، أستطيعُ أن أتلاعبَ به وبعشرةٍ من أمثالهِ... يا سادة.

رجل 2+رجل1: نعم.

رجل 3: أرى ومِن خلال تأملي الخاص أن لا نقول لا نعرف.

رجل 1: جيد أهنئك على هذا الاكتشافِ العظيم.

رجل 3: ولا نقولُ نعرف.

رجل 1: جيـ.... ماذا؟

رجل 3: أحبذُ الإجابةَ العمومية، فهي خاليةٌ من المسؤولية ولا تؤثرُ عليهم ولا على منزلتِهم

رجل 2 : وما الربطُ بين أسنانِ الحصان ومنزلتهم!

رجل 3 : قد يربطونَ هُم بطريقةٍ أو بأُخرى، ما يُدريني؟

رجل 2 : أتعني أنَّ جدَّهم حصان، مثلاً!

رجل 1 : إذا كنتَ لا تعبأُ لنفسِك فأنا أفعل.

رجل 2 : أصرُّ على ذلك: جدّهم حصان.

(يتصارع رجل 1 مع رجل2)

رجل 3 : (حائلاً بينهما) سيتدارُكنا الوقتُ ونحن من نزاعٍ إلى نزاع.

رجل 1 : هو مقرف، يتفلسفُ ونحن على عتباتِ الموت.

رجل 2 : بل أنت من يحاولُ أن يقودَنا إلى الخسارة.

رجل 1 : (يتأجج الصراع) والخسارةُ عندك فقدانُ ماذا؟

رجل 2 : الذاتُ لا الحياة؟

رجل 1 : لن يخسِرَ سوى الميّتِ يا صاحبي وما الدموعُ التي تودعه سوى زيفٍ ضحوك سرعانَ ما ينسونَهُ أو يتناسونه بعد الغداءِ مباشرة.

رجل 3 : (منهياً التأزم) جدلكُم عقيم.

رجل 1 : (للرجل3) أليسَ لدينا ثلاثُ فرص؟

رجل 3 : نعم.

رجل 1 : فما رأيكَ أن تطرحَ سهمَك وتقدّم هذا الحل.

رجل 3 : (بارتياب) ولِمَ أنا؟

رجل 1 : لأنه الحلُّ الصحيح.

رجل 3 : إذن قدمه بنفسِك.

رجل 1 : (ممتعضاً) تُحبّ الجدلَ الفارغ.

رجل 3 : بل لا أحبُ أن أخدع.

رجل 1 : لذلك ستبقى مخدوعاً طيلةَ حياتك.
(للرجل 2) وأنت يا سيدي؟

رجل 2 : دعني وشأني.

رجل 1 : حصان. (متحركاً باتجاه رجل 3 المتهرب) وبما أن الخسَّ قد يحتاجُ إلى الخرا... ماذا تقولُ يا أستاذ؟

رجل 3 : سبقَ ورفضت.

رجل 1 : كل شيء نسبي يا صديقي، أنت إن رفضتَ شيئاً فإنك لا ترفضُهُ

في الحقيقة.

رجل 3 : لا تتفلسفْ معي.

رجل 1 : أنا لا أفعلْ ذلك إنما أدلكَ على الطريق.

رجل 3 : أستطيع إيجاده بنفسي.

رجل 1 : (مستثمراً قدراتِ البيان) أنت واهم. هناك قدراتٌ فطريةٌ عند الإنسان؛ لكنَّ درجةَ نموِ وحسّاسيةِ تلكَ القدراتِ تتفاوتْ من شخصٍ إلى آخرَ.. لذلكَ فالمديرُ مديرٌ والزّبالُ زبّالٌ يا صديقي.

رجل 3 : لستُ زبالاً، لست زبالاً.

رجل 1 : أنت أملُنا.

رجل 3 : الآمالُ زيفٌ في زيف.

رجل 1 : لا تعتبرْ نفسَكَ إنساناً عادياً أيها المنقذ.

رجل 3 : شعاراتٌ أُفضّلُ عليها الشعير.

رجل 1 : لا أحدَ يقرُّ بالحقيقة.

رجل 3 أيّة حقيقة؟

رجل 1 : لنفرضْ أنكَ تعملَ في مؤسسةٍ تكرهُ المديرَ فيها، فهو عنجهي وغبي وسارق، ونفرض أنك على العكس: مِتفتح وذكي وأمين. فإن أمركَ بشيء ورفضتَ تنفيذَه فإنك قد تُطردُ أو تعاقبُ أو، وهذا في أحسن الفروض، قد يضايقكَ إلى أن تشلعَ بجلدِك، لكنّك إن أذعنتَ لـه وعملتَ ما يحلو لك فإنك تعملُ ما يحلو له وليس ما تظنّ أنه يحلو لك؛ فأنت تديمُ العملَ سواءٌ بعرقلته أو إدامته. أما إذا كنتَ واثقاً من مؤخرتكِ تماماً، فقد تتركُ العملَ، لتعملَ شئتَ أم أبيت تحت إدارة مدير آخر، أسوأ ربما، أو في الأعمالِ الحرّة التي هي ليست حرةً بأيِ حال من الأحوال؛ لكنّك بتركك العمل تُسعد الإدارةَ في انسحابك في حين أنك تعتقد أنك بانسحابك قد أوقعتَ الضررَ بها.. والمعنى أنك تخدم بصورة أو أخرى، وإن لم تعلمْ بذلك وإن لم تقصد.. ففاقد الشيء... يُعطيه بطبيعة الحال.

رجل 3 : (مشدوهاً) لم أفهم.

رجل 1 : (مهدداً) إن رفضتَ الآن، فسأخبرهم بقولِكَ عمّن

احتجزونا أن لهم علاقةَ سلالةٍ بالحصان أو ما شاكل ذلك.

رجل 3 : (مشيراً إلى رجل 2) هو قال ذلك.

رجل 1 : ووافقته أنت.

رجل 3 : لم أفعلْ لقد سكت.

رجل 1 : والسكوتُ من علاماتِ الرضا.

رجل 3 : (مرتبكاً) هو قال ذلك... لم أفعل... لقد سكت.

رجل1 : (صارخاً) والسكوتُ من علامات الرضا.

رجل3 : (بعد صراع صامت مع نفسه) سأستدعي الحارس.

رجل2 : (وحيداً في الظلمة)

تأتي الأزمنةِ وتذهب
نذوبُ رويداً رويداً
ويتيبسُ شيءٌ ما في الأعماق
تسقطُ ورقة
وفي الأعماق ينكسرُ الموتُ ويتحولُ هباءً
حتى الموتُ نفسُه يفقدُ موتَهُ الحقيقي.

(يدخل رجل 4 مبتهجاً)

رجل4 فرصتكم الأولى.

رجل1: (لـ رجل3) سيدلي السيّدُ باقتراح.

رجل4: (يكتب في السجل) وهو؟

رجل3: (متردداً) هو اقتراحنا جميعاً، جميعاً.

رجل4: لا، الأوامر مشددة محددة، لا تحرجوني يا سادة.

رجل3: وما الحكمةُ من التجديد.

رجل4: لا أدري.

رجل3: أيُعاقبُ المُحَدَّد أم يُكافأ؟

رجل4: سأرحل، وبذلك تضيع الفرصة.

رجل1: (لـ رجل 3) كُنْ شجاعاً وقلْها.

(الجميع في وقت واحد)

رجل3: كن أنت شجاعاً أو هو.

رجل1: (لـ رجل2) أين شجاعتك؟ (لـ رجل 3) أين شجاعتك أنت

رجل2: ما عليّ بذلك. ليس لي علاقة.

رجل1: قلْها.

رجل3: هو يقولها أو أنت.

رجل1: بل أنت أو هو.

(هكذا يرتفع الصخب بينما عينا رجل 4 تنتقلان بينهم)

رجل4: (صارخاً بالجميع) هيه ماذا هناك؟ ما بكم؟ أنحن في مقهى أم سيرك؟ (لـ رجل 3) تكلم.

رجل3: (حائراً يتلفت) الإجابةُ.. الإجابة.

رجل1: (يغششه) المنطقُ اللا منطقي.

رجل3: ماذا؟

رجل 1: المنطقُ المنطوقُ في المنطقِ...

(ينتبه رجل 4 فيسكتان)

رجل 3: (برعب شديد، مقلداً رجل 1) الإجابة تتوزعُ بين الحصان العيني أي هذا الحصان أو ذاك وبين الحصانِ الافتراضي بشكلهِ المجرد.

رجل 4: (يكتب ويتهجى بطريقة شعبية) الـ مْـ جَـ ررررر د.

رجل 3: (يتشجع أكثر) وبذلك يكونُ من اللا منطقِ أن نعدَّ المنطقَ منطقاً خاصاً بمنطقٍ معينٍ ذلك أن المنطقَ هو اللا منطقُ المنطوق، وهو المطلوب.

رجل 2 (يتهجى الكلام حسبما سمعه)

: مجرّرررد، معتوق، مطلوب.
(يغادر مسرعاً)

رجل 3 : أعتقد أنني في ورطة.

رجل 1 : كلّنا كذلك.

رجل 2 : (وحيداً) يتسوّرُ حولنا عدمٌ عملاق،
بعيونٍ مبحلقة كبيرة،
أسنانٍ حادة،
وأظافرَ مغروزةٍ في القلب.

رجل 4 : (عبر المايك) صاحب الإجابة السيد المِحْترررّم صاحب الإجابة الأولى، مطلوب مطلوب كي يسلمَ على المقصلة... رجاء.

رجل 3 : ماذا؟

رجل 1 : (مبرراً ومحاولاً الهرب) السلامُ عليها يعني النجاة، النجاة.

رجل 3 : لقد خدعتني يا وغد، لم يُخلقْ بعد من يخدعني.

رجل 1 : لا تتهور.

رجل 3 : (مهاجماً) هو اقتراحُكَ وليس لي يدّ فيه.

رجل 1 : (متراجعاً) لا يا عزيزي.

رجل 3 سأقتلك.

:

رجل 1 : لقد سَمِعَها الحارسُ من شفاهِكَ الحِصانية.

رجل 3 : سأجبرك على الاعتراف أنه اقتراحك.

رجل 1 : (يهرع مسرعاً) أيها الحارس، أيها الحارس.

(صوت بوق رجل 4 يجمد الكل في أمكنتهم، يدخل ببطء نظراته مفترسة، ويتجه إلى رجل 3 الذي يحاول التملص من جموده دون جدوى، يضع الحبل حول رقبته ويجره إلى الخارج مع ضراعاته المشهوقة.. صرخة مدوية.. صمت).

**

المشهد الثاني

(بعد زمن رجل 2 يتأمل في زاوية، ورجل 1 يُفكّر في خداعه)

رجل 1 : إذن فقد نجا.

رجل 2 : لقد خَسِرَ، سَواءٌ نجا أم لا.

رجل 1 : قال الحارسُ أنه سيُسلّم على المقصلةِ ولم يقلْ إنه سيسجد لها.

رجل 2 : النتيجةُ واحدة.

رجل 1 : لا عليك؛ لم يَكُنْ ذا قيمة.. المهم أن نفكر.

رجل 2 : بحيلة؟ وهكذا نموتُ بالفقر.

رجل 1 : يبدو أنك زاهدٌ في الحياة.

رجل 2 كلا. لكنني لا أرضى أن أُستخدم

: هكذا.

رجل 1 : (امتعاض صامت)

رجل 2 : إنني بتفكيري بالحصان بطريقة حصانية لا أُفضّلُ عنه بشيء.

رجل 1 : (مداعباً) إذن دعني أعدّ أسنانك.

رجل 2 : المعضلةُ ليست في حدسِ عددِ أسنانِ الحصانِ ولا في المراوغةِ في الإجابة، أراها في الفضاء هذا كلّه، بهوائه، بمائه بالربو الذي يخنقه.

رجل 1 : (محذراً من الخارج) للحيطان آذان.

رجل 2 : لا يهمني.

رجل 1 : إعلم يا هذا أن طواحينَ الهواء لا تسكبُ دماً عندما تطعنها بسيفك الخشبي وأن الجدارَ لا يتألمُ مهما كانت قبضتك مدمّاة.

رجل 2 : نحن مُختلفان.

رجل 1 : هذه هي الدنيا: على القشة أن تكون سعيدةً باحتضانِ التيار، فهوِ تيار وهي قشة، أتريدُ أن تقفَ وأنت القشة في وجههم وهم التيار.

(رجل 4 عبر المايك)

رجل 4 بعد الحلّ الأول بعشر دقائق

: يسقط حقكم في الحل الثاني.

رجل 1 : (صارخاً) يا سيدي، ما الذي حلَّ بصاحبنا؟

رجل 2 : نائم في العسل.

(يسمعون صراخاً وقهقهات)

رجل 1 : (مبرراً) يبدو أنهم أطعموه حتى التُخمة، وها هو بتأثيرِ ترسبِ الغذاء يشخر ويقهقه سخريةً منا.

رجل 2 : (محاولاً الخروج) سأرفضُ أن أجيب.

رجل 1 : (يعترضه) لا تتسرعْ. فكّر في الحياة ولن تقدِمَ على فعلٍ كهذا أبداً.

رجل 2 : لأنني أفكرُ في الحياة سأرفض.

رجل 1 : وتقدّم رقبتَك إلى المقصلة.

رجل 2 : فليكن.

رجل 1 : هل أنتَ رخيصٌ إلى هذه الدرجة.

(يشتد الصراع)

رجل 2 : الرخيصُ من يرّخص أشياءه، من يَتَشكّل حسبَ القالبِ الذي يحتويه، الرخيصُ هو المانع.

رجل 1 : طيب، وبما أنك زاهدٌ هكذا، فإننا سنفكر معاً وفي حال كون الإجابةِ صحيحةً نعتبرها إجابتي

والعكس بالعكس.

رجل 2 : أنت رجلٌ إيثاري.

رجل 1 : ألم تقلْ أن الحياةَ لا تهمّك، أم أن الشجاعةَ كلامٌ فقط؟

رجل 2 : قلتُ أن هذه سخافة.

رجل 1 : سخافة؟! نعم سخافة. لكن علينا أن نشتركَ فيها، راضينَ أو مُرغمين، هي سخافة ومهمتُنا أن نلعبَ أوراقَنا بحذر.

رجل 2 : انتهازي.

رجل 1 : وأنت حالمٌ أخرق، تعتقدُ أنك إذا قلتَ لا أعرف فأنت بطل.. بطل!

الذكي، الذكيُّ من يعبئُ في السلة تفاحاً.

رجل 2 : عبئ إذن واغربْ عن وجهي.

رجل 1 : (وحده) اللعبةُ لعبةُ أرقام. وقد لا تكون لعبةَ أرقام. لكن: كم؟ واحد. كيف؟ من الطبيعي أن الحصانَ واحد، فلا يُمكنُ أن يكونَ اثنين. ومن الطبيعي أن أبا الحصان حصان أي واحد وأم الحصان حصانة – أقصد فرس- وهي واحد... من الناحيةِ الفكريّة تكونُ الإجابةُ (واحد) لأنَ كل

شيء يومئ باتجاه الواحد. كلا. هذا منطقي، اللا منطقُ يقول أن المسألة منطقية، بحيث نستطيعُ أن نقول أن أسنانَ الحصان تتغيرُ بتغيرِ الذي يعدّها، أو بتغير موقعه، أو مصلحته، نعم: أسنانُ الحصان هي المتغير أما الثابتُ فهو العددُ الذي نريده. وهو المطلوب (لرجل 2). ماذا تقول في ذلك؟

رجل 2 : قلت إنني سأصمتُ احتجاجاً.

رجل 1 : تصمتُ دجاجاً تقصد.

(يدخل رجل 4 مسرعاً)

رجل 4 : حان وقتكم يا سادة.

رجل 1 : أين صاحبنا الآن؟

رجل 4 : في سابع حلم.

رجل 1 : قل لي...

رجل 4 : (مقاطعاً) قل لي الإجابة فقط.

رجل 1 : أريدُ أن أسأل.

رجل 4 : بل تريد توريطي كما تورط الحارس السابق.

رجل 1 : (مستدرجاً) السابق؟

:

رجل 4 : لقد تكلم مع ثلاثة من أمثالكم و... (يخفض من صوته) اختفى. ماذا تريد؟ أن تسرق لساني؟ قل وإلا خرجت.

رجل 1 : أليس ثمةَ أمل؟

رجل 4 : لا أملَ على الإطلاق.

رجل 1 : (راجياً بصمت أو مغرياً بحركات معينة)

رجل 4 : ليس ثمة مجال بتاتاً مطلقاً حتماً أبداً البتة.

رجل 1 : (يائساً) الإجابةُ هي...
(صمت)

رجل 1 : حسبما نرى، حسبما نحتاج.

رجل 4 : لحظة. (يغادر)

رجل 4 : (عبر المايك) صاحب الإجابة السيد المحترم صاحب الإجابة الثانية مدعو، مدعو كي يسلم على المقصلة رجاء.

رجل 1 : (بكل تشبثه بالحياة) لا لا لا....
(مع بوق رجل 4 يتخشب رجل 1: الذي يحاول التحرك والهرب، إلا أن شبح رجل 4 يقترب ويقترب، يحيطه رعب شديد، يدخل ببطء، ساحلاً رجل 1 على مرأى من رجل 2. صرخة مدوية. صمت)

**

المشهد الثالث

(رجل 2 في معركة داخلية)

رجل 2 : أي مهزلةٍ هذه!

(يدخل رجل 4)

رجل 4 : بقيت لك خمسُ دقائق فقط لا غير.

رجل 2 : أيمكن أن أسألَ عمّن يحتجزنا هنا؟

رجل 4 : لو أدري لطار لساني

(يغادر).

رجل 2 : الرغبةُ في الحياةِ تسوقني إلى التفكير،

وكرامتي إلى الصراخ.

أنا بين مطرقةِ الحاجةِ وسندانِ التشبثِ بالحياة

الطُرُقُ أمامي إما مسدودةٌ

أو مدلهمةٌ لا توصِلُ على خِتام.
لو تبعتُ عقلي ما بقيت
ولو قادتني الحاجةُ لخسِرْتُ نفسي..
والحلولُ الوسط مشينةٌ أو غيرُ متوفرةٍ بالمرّة.
فما العمل؟
من ذا يُحركُ الخيوطَ، تلك الخيوطَ المرئيةَ وتلك الخيوطَ التي لا تُرى، ومن ذا يحركُ خيوطَ من يحركُ الخيوطَ؟ من ذا يحبسُ الهواءَ كي يثقلَ أكثر، من ذا يخمّر القدمين في رغوةِ التردد؟ وأين المسافةُ، أين المسافةُ بين قدمي الفكرة وجناحي الفعل؟ (ينادي رجل 4) أيها السيد.

(يدخل رجل 4)

رجل 4 : بالخدمة وطوع البنان. (يفتح السجل).

رجل 2 : إليك الإجابة.

رجل 4 : (مبتهجاً) أخيراً سينتهي كل شيء.

رجل 2 : (أصوات ترتفع: موسيقى أو قهقهات)

رجل 4 لم أسمع. (ينتقل هنا ينتقل هناك

: يفرك أذنه يلتصق برجل 2)

رجل 2 : (أصوات ترتفع: موسيقى أو انفجارات)

رجل 4 : كلام خطير. أتثبت على ذلك؟

رجل 2 : .... هي إجابتي.

رجل 4 : (مهرولاً إلى الخارج) لحظات.

(يغادر رجل 4)

(يعود رجل 4)

رجل 4 : (بحزن) يسعدني أن أقول لك إن إجابتك منطقية.

رجل 2 : حقاً؟

رجل 4 : نعم. الكل عرف الحل الصحيح وتفرقوا في الدروب. صديقاك الآن في نوم عسلي طويل...

رجل 2 : نعم.

رجل 4 : وأنت...

رجل 2 : أنا؟

رجل 4 : قرروا أن تنتظر هنا.

رجل 2 : هنا؟

رجل 4 هنا، وإلى الأبد.

رجل 2 : (يدور يدور يدور....)

(إظلام)

(خـــتام)

**

وداعاً مؤقتاً

«استطاع الجبار بجبروته والاستعانة بمطواته وعضلاته المفتولة... بالعمل ليلاً وفي السر، بعيداً عن أعين الرقباء أو بمساعدتهم... استطاع ذلك الجبار: أن يثقب الجدار».

مسحوق الهمس

عرضت في مهرجان نيسان المسرحي
-الثالث
عام 1998

المكان: (غرفة عادية أو زنزانة. ينتصب في إحدى الزوايا جدار ضخم بعجلات، ثمة إطار صورة فارغ، جردل بول، وأشياء أخرى مبعثرة)

الشخصيات:

الرجل. **صورته:** (يمكن خلق التشابه بالزي ويمكن أن يقوم الرجل نفسه بدور الصورة على اعتبار الازدواجية والهلوسة التي يعاني منها)

الشبح.

الحارس.

صوت: (مرة يكون الصوتُ أنثوياً ناعماً ومرة رجولياً خشناً لتأكيد الازدواجية والهلوسة).

مجموعة الأشباح.

المشهد الأول

(يدخل الشبح- يقود مجموعة الأشباح- وكأنه يسبح في الهواء)

الشبح: الحياةُ تسير، لا إلى غاية؛ بل تسيرُ فحسب.

الرجل: (لنفسه) هل أنا في شارع، أما أنا داخلَ رأسي، رأسي الذي يكبرُ ويكبر... آه! يا للرأسِ الكبيرِ الفارغِ كطبل! أين أنا؟ أريدُ أن أعرفَ أين أنا، أريد أحداً يعرّفني من أكون...

الشبح: صدّقْ شيئاً واحداً فقط: لقد فقدتَ يا هذا كلَّ شيءٍ إلى الأبد. فقدت أحلامَكَ، حياتَكَ، كلَّ ما تنفردُ به كشخص وكلَّ ما تتساوى به مع الجميع... أتعرفُ من أنت؟

الرجل: قالوا...

الشبح: هراءٌ كل ما يقولون.. إن الأشياءَ تُخادع، هي غيرُ ما كانتْ عليه...

أبداً لن تظلَّ كما كانتْ عليه... الأشياءُ تنمحي، تتبعُها أشياءٌ حتى لا يعودَ لشيءٍ أثر. تَمسخُ الذاكرةُ شيئاً فشيئاً، يتحدَّبُ الأملُ ويشيخ حتى يستحيلَ إلى ضباب، ضبابٍ سرعان ما ينقشعْ مخلفاً ضحكةً ساخرة!

الرجل : تمزحُ بالتأكيد.

الشبح : فتشْ في ذاكرتك......... أثثْ حياةً..... واملأُها بوجودِك.

الرجل : الأسئلةُ تُطاردني كأنها كلابٌ متوحشة، تتبعُني في دروب عقلي... تنهشني، أتساءلُ...

الشبح : لا داعي للسؤال.

الرجل : أتساءلُ دائماً من كنت؟ من أكون؟ بلا...

الشبح : بلا ذاكرةٍ أنت، بلا مستقبل وحاضُركَ وهمٌ ليسَ إلاّ... أنت يا هذا (باح)... وداعٌ مؤقت.

(ينزوي في مكان ما)

(يدخل الحارس وفي يده خيزرانة)

الحارس : ولد! ولد! كُنْ مطيعاً مثلَ امرأةٍ مرعوبة. فأنا لا أرضى بالزلل، لا أرضى بالتسيب. النظام والالتزام وإلا.. وإلا طحنْتكَ وكأني أكشُّ ذبابة.

الرجل من أنا يا سيدي؟

الحارس: إنك تسألُ هذا السؤالَ في اليوم مائة مرة!

الرجل: من؟

الحارس: ذبابة ذبابة.

الرجل: لِمَ أنا هنا؟

الحارس: فمُكَ كبيرٌ على ما يبدو!

الرجل: أجبني أرجوك، أريد أن أعرف.

الحارس: لا تكن رعديداً هكذا كجُرذْ.. إذا كنتَ لا تعرفُ من أنت فأنت إنسانٌ مجنونٌ فقط، تُخرّف، لا ضيرَ عليك ولا منك مطلقاً... أنت شوكةٌ هناك وقرنفلةٌ هنا.. بين هذهِ الجدران تنبتُ كصفصافة.

الرجل: مجنون، يُخرّف؟

الحارس: من يأتي إلى آخر الدنيا هنا، يعني أنه ارتكبَ جُرماً شنيعاً وأنّ من صالحِ الجميع أن يُكبّل.

الرجل: أي جرم؟

الحارس: في عُرف الشذّاذ والخارجين على القانون أكونُ سفاحاً قذراً، هذا يُسعدني ما دمتُ أؤدي واجبي

على أكمل وجه.

الرجل: ما الذي فعلته حتى يرموني هنا؟

الحارس: لا يهمني معرفةُ السبب، تُولد أنت وأمثالك فقط حالما تطأ أقدامُكم هذه الجنة.

الرجل: تُسمي هذا الجحيم..

الحارس: تقصدُ الجوع؟ ذلك ما يُعاني منه الجميع، ليس مهماً. المهم: رضاك عن نفسِك وقناعتك بما بين يديك.

الرجل: لكنني مُقيد...

الحارس: لديك متسعٌ من المكان، ثمة زنازين ينامُ فيها المرءُ واقفاً، أو مُعلقاً من رجليه. اعلم يا هذا أن الناسَ جميعاً تحسدك على النعيم الذي أنت فيه، الكلّ، الكل يتهمنا بالفسادِ الإداري والمحسوبيةِ بسببك.

الرجل: ...؟

الحارس: طبعاً لا تدري. فطالما تُصاب بحالاتٍ هستيرية تعتقدُ فيها أنك ترى أشباحاً – يا ساتر- أو مسوخاً أو أناساً يطاردونك- لا سمح الله – لكي يصبوا عليك الزيتَ الحار وينتفوا لحيتَك (ينتفها) أو يضربونك بالسياط (يضربه) أو ربما يعلقونك إن أمكنَ بحبلٍ غليظ ويُحكمون

حلقتَه حولَ رقبتك نعم.. هكذا.. ويشدون الحبل (يشده على رقبته).

الرجل : إنني أختنق.

الحارس : أرأيت. أنك تتخيلُ فقط. صدقني الخيالُ يجعلُ البعيدَ قريباً، ثم تكتشفُ أنه أبعدُ من المريخ إليك. لا شيءَ يؤذي كالخيال.. ولو تُرِكت الأعنّة له، فاغسلْ يديك منك تماماً.. ألا تدري أن الكثيرين حاولوا استبدال أماكنهم بمكانك ودفعوا الكثير. أتمنى أن لا ينجحوا، رغم أن الاغراءات تلّينْ الحديد.

الرجل : وما يكونُ هذا المكان؟

الحارس : ألا تحسُّ بالسحر! سأتلو عليك سراً لا تُخبره لنفسك حتى، وإلا ضعنا جميعاً. النعيمُ يستلقي عارياً بجوارك.. ما عليك إلا أن تمدَّ يدك وراء هذا الجدار فتمتلئ.. في الجانبِ الآخر من الجدار ثمة أجسادُ إناثٍ.. بضّة (جانباً) خُدِع!

الرجل : ووووه!

الحارس : (مبالغاً بعض الشيء) كان ياما كان: كان ثمةَ نزيلٌ قويٌّ عملاق.. قضي هنا عشر سنوات، استطاعَ بجبروته والاستعانة بمطواته وعضلاته المفتولة... بالعمل ليلاً وفي السر، بعيداً عن أعينِ الرقباء

أو بمساعدتهم –لا أدري- استطاع ذلكَ الجبار: أن يثقبَ الجدار.

الرجل : ثَقَبَ الجدار!

الحارس : حمار! في الليل، وحده، يحفرُ ويحفر، بلا كللٍ، كالمهووس، صنعَ ممراً طويلاً إلى السجن المقابل وبعد سنين هناك، تلقفَ الأجسادَ البضةَ لثماً وشماً، وعناقاً وضماً.. ما وراء الجدار مستعد لأي شيء وكل شيء.

الرجل : أجساد....... نساء.

الحارس : الآن بنوا حائطاً ضخماً ملاصقاً للحائط الأول، لا الجبار ولا ستون مثله يستطيع اختراقه، فقد جُعلتْ مونته من الحديد والإسمنت هذه المرة. محال، محال أن ينجحَ أحدٌ في اختراقه وإن كان قادماً من حرمان مؤبد. حتى لو استطاع ثقبَ الجدار الأول فسينتصب في وجهه الجدارُ الثاني، والثالث... الجدرانْ أمامك في كل مكان، الجدرانُ في كل مكان... فلا تفكرْ في الأمر، لا تفكر، وإذا فكرت مجرد تفكير فهي نهايتك، نهايتُك يا بوز الكلب!

(يخرج الحارس)

الرجل : أهذا الرجلُ حقيقة أم وهم؟

صورته : ما عدنا نُميزُ بينهما.

الرجل : هذا أنا، وهذه إصبعي، تلك أُذن وهذه أخرى: أذنان، هذا الأنفُ لي وهذا الرأسُ ملكيتي.. إذن أنا لا أحلم.

صورته : بم تُفكر؟

الرجل : بالجدار... والجبار.

صورته : لكنّه حائطٌ ضخمٌ من الحديدِ والإسمنت.

الرجل : سأجتازهُ بالإرادة.

صورته : قد تكون مجرد خدعة.

الرجل : خطوةٌ واحدة تفصلني عن الحياة.

صورته : ألم تسألْ نفسَك، ثم؟

الرجل : ما دمتْ ميتاً لا محالة فليكن موتاً من أجل شيء.

صورته : ستجن.

الرجل : وربما أصل.

صورته : وبعدها.

الرجل : أجدُ حريتي.

صورته : إنك تخدعَ نفسك بالأمل.

الرجل : بل نخنقها باليأس.

صورته : قريباً سيهطل الصباح.

الرجل : كل ليلة سأحفر، واحفر، لأخلق داخل كل ممنوع ما هو مباح.

(يدخل الشبح)

الشبح : آووه! باح! ليس لشيء معنى، ما تفكر فيه ستحطمه الخيبة قريباً.

(الرجل مستمر في الحفر)

الشبح : لقد خدعوك، وحكوا لك حكاية عجائز زائفة.

الرجل : وإن يكن، سأكون الجبار الذي يتحدثون عنه.

الشبح : ذلك الذي يدعونه (الجبار) مجردُ غبي أحمق. إنه إهزوءةُ السجون كلِّها.. حاول أن يحفر الجدارَ، لكنه وحين بلغَ السبعين، ماتَ بالجلطة، ولم يحفِرْ سوى سبعةِ سنتيمات فقط.

الرجل : سأحفر العالمَ كلَّه كي أصل (يدق ويتصنت ويحفر).

الشبح : لن يسمعك أحد، اليأس.. اليأسُ هو الخلاص الوحيد.

الرجل (منتفضاً على نفسه) ما أنت سوى

: فكرةٍ سوداء يزرعها اليأسُ في أملي، سأقضي عليك بإرادتي.. إرادةِ الجبار الذي ثقبَ الجدارَ ورأى النور.

الشبح : جرثومة معدية يحلم أكثرَ من اللازم، ويتكلمُ أكثرَ مما ينبغي.

(ينزوي في مكان ما)

الرجل : (متعباً من الحفر) كلا. استمر في الدق، أدقُّ أدق أدق.

الشبح : عليك أن تعوّدَ نفسَك على الوحدة.. الوحدةِ الأبديةِ المظلمة.. نعم عليك أن تفكر في لا شيء حتى تضمحل قوى عقلك وتنهار، فتنام. (الرجل يغفو. يحلم بفتاة تتراقص أمامه، تتحول إلى بجعة بيضاء، ترقص في الضوء، تهرب لأن غراباً كبيراً يطاردها وتحاول صورته أن تمنع الغراب من القبض عليها).

الشبح : (في نفس لحظة الحلم) طيط! لذة ما بعدها لذة: أن يتيبس غصن، بهجة ما بعدها بهجة: أن يتحطم قلب، غبطة لا نهائية: أن ترى إنساناً يتحطم أمامك، ينهار هكذا كجدار ضخم. تش. من أمتع الأشياء تخريب الأشياء.

(يختفي الشبح)

(الرجل يحفر بهمة، يتعب ينام، يحفر بهمة يتعب ينام، يحفر بهمة... الحارس يتجول في المكان، الشبح يطير، الحارس يتصنت، الشبح يعاني ويتلوى، الرجل يحفر يتعب ينام، طائر أبيض يمر ويسمع الرجل أثناء دقه العنيف دقاً

خفيفاً من الجهة المقابلة. صمت)

الرجل : (بأقوى ما يستطيع) الدقات الدقات (يفرك أذنيه) تأتي من هنا، لا من هناك. لقد سمعت دقة، بل نقرة خفيفة طرية. تباً للموت. (يدق بعنف) لا موت مع الحياة، أنا الجبار الذي ثقب الجدار ورأى النور

(يقفز في الهواء، يدق على الجدار من أعلى ومن أسفل، يستجمع قواه، ويثب وثبة هائلة، يصرخ، يغني يتشقلب، يرفس، يعوي، يتعرى، وصورته تشاركه فرحه).

صورته : لقد نجحت.

الرجل : هذه هي لحظة الولادة.

صورته : لست وحيداً في هذا العالم.

الرجل : (يدق) أجيبي. (يسمع نقرة) أنها تجيب على دقاتي.

الشبح : (بصوت نسائي) هذه الدقات لي، أنا دققتها على الجدار. نعم نحن النساء نجلب التهلكة دائماً، فما أن نبعث الأمل في قلوب الرجال حتى نقتله فيهم إلى الأبد. طيط.

(الرجل في زاوية يندلق عليه ضوء أخضر وصورته تتجاوب معه خلف الجدار)

الرجل : بمفردك تجلسين.. قلقة علي.. خائفة لئلا يقطع الاتصال. فلنتفق على معنى الدقات. لنخلق لغة

خاصة بنا. دقة مفردة: صباح الخير. دقتان: مساء الخير... ثلاث دقات... أربع دقات، عشرون.

الشبح : (يغني) الحياة تسير لا إلى غاية بل تسير فحسب، لا لا لا لا لاه، لا لا لا لا لا لا لاه. (ينزوي)

الرجل : لن ينال أي كائن من فرحي.

(الرجل يدق ويضحك يدق ويبكي وكان أحداً هناك على الجانب الآخر من الجدار، تمر الليالي.. يمر الطائر الأبيض...)

(صورة الرجل تراقص الطائر تحت ضوء خافت)

الرجل : (يناغي صورته) لا بد أنها تتخيلني الآن مثلما أتخيلها، تتمناني مثلما أتمناها.. مرت أعوام طويلة، ساعات، لا أدري، لكن يا له من مشهد: أنا أضع أذني إلى الجدار وهي تضع أذنها في المكان نفسه.. وكلانا ينصت إلى الآخر بتلهف. أناديها: أتسمعينني.

الشبح : (صوت خشن) لا.

صوت : (نسائي رقيق) أسمعك! أسمعك!

الرجل : ها! أسمعك. من أنت؟

الشبح : لا أحد، لا أحد.

صوت : فردوس، من أنت؟

الشبح **:** خيال، وهم.

الرجل **:** أنا، أنا لا أذكر...

(يدخل الحارس)

الحارس **:** أنت، أنت الرجلُ المحظوظُ الذي أجلسته الأقدارُ على العرش في هذا المكان.

الرجل **:** ....

الحارس **:** إيه! محظوظٌ أنت، رغم أنك تبدو مثل جرذٍ مبلل، لكنك محظوظ وشيبتي المقدسة.

الرجل **:** (يتنصت إلى الجدار)

الحارس **:** مممممم! موعدٌ غرامي. لكن للأسف، للأسف.

الرجل **:** ماذا؟

الحارس **:** (بطريقة بادية التصنع والمبالغة) لا بدّ للسعادة من منغص، لا بد من خيطِ المرارةِ يدسه أحدهم في بلعومك. يا إلهي، لا بد من الأيدي السوداء تعبث بالقلوب البيضاء لتخنقَ فيها الغسقَ الأخضر.

الرجل **:** لماذا؟

الحارس **:** أوه، لم كل هذه التعاسة، ألا بدَّ من المأساة؟

الرجل سأجن ماذا حصل؟

الحارس: حصلت الكارثة. النفوسُ الدنيئة تطاردك، تغبطك على النعمة الهائلة والهناءِ المقيم الذي أنت فيه. تصور، ياَ جرذ، أن النزيل المجاور بلغت به الدناءة والوقاحة حد أن حاول وظل يحاول وما زال يحاول- وهو للعلم قادرٌ ومستعد- أن يدفع كل ما يملك وما لا يملك، لكي أنقله إلى.. فردوسك هذه.

الرجل: لا! يريدون سلبي آخر ما أملك

الحارس: قساة، ماذا نفعل.

الرجل: ورفضتَ بالتأكيد.

الحارس: الرفضُ والقبولُ شيءٌ فيه نظر، من يدري ما تخبئ الأيام.

الرجل: وكرامتك الشخصية.

الشبح: (يبصق جانباً) الحاجة. الحاجة أمُّ الانحراف، تلتهم ولا ترحم... ساعدني كي لا أنحرف.

الرجل: أنت رجلٌ مستقيم.

الحارس: الحاجة تحوّل المستقيم إلى دائرة.

الرجل: ....

الحارس: التلوي جوعاً وحرماناً يذيب الحجر، ماذا أفعل؟ أتريد تشريد عائلتي المتكونة من ألف وخمسمائة طفل، طفل ينطح طفلاً! أم يسعدك أن تعمل زوجاتي التسعون في الدعارةِ لكسب العيش؟ لدي أولاد- أفواه مفتوحة على الدوام وعائلتي كبيرةٌ وستُشرد إن لم أفعل ذلك.

الرجل: لن تفعل.

الحارس: إن لم أفعل يفعل غيري، فالعالمُ ينزلق.

الرجل: لكنني أرفض.

الشبح: طيط.

الرجل: أرفض أن أترك المكان ولو على جثتي.

الحارس: من أنت حتى ترفض أو تقبل، ومن إستأذنك يوماً.. ومن سيستأذنك.. أنت مُقادٌ من أنفك مثلك مثل أي شيء آخر.

الرجل: لن يسلبني أحدٌ وجودي.

الحارس: وكم يستحق وجودك هنا؟

الرجل: كان لا يستحق شيئاً.

الشبح: (جانباً) ضاعت الصفقة. والآن أكيد إنه يستحق..

الحارس: حياتي.

الرجل: عظيم.. إذن ستحتفظ بوجودك سالماً من أي شائبة، لأنك تستحقه.

لكن عليك أن تدفع..

الرجل: أدفع؟

الحارس: كل شيء يسيرُ الآن بالدهون، تدهن الماكِنة تعمل، لا تدهنها تنقلب في وسط الطريق. الدهن هو أصل العالم. ولكي تبقى إِدهن بلعومهم.

الرجل: سأعطيك كل ما تريد (يعطيه جردل البول) وما تستحق (حذاءه) خذ هذا (قميصه) خذ خذ، لك ما تريد، (يحتضن الجدار) إلا هذا.

الحارس: لديّ بضعة أوراق صغيرة. شخبط هذا فقط وهنا، نعم، اتفقنا.

الرجل: (يحتضن الجدار).

الحارس: (جانباً) يظنني أقايضه على المكان.. ما هو المكان؟ أربعة جدران مغلقة ونافذة صغيرة كخرم الإبرة. ثم ما الجدار؟ أساسٌ أرضيّ، طابوق.. وإسمنت ليس إلاَّ. المهم، شكراً للأقدار،

فلو كان الناس أذكياء جميعاً ولا وجود لغبي بينهم لمات الناسُ جوعاً أو غيظاً.. يا ليت الأقدار تبعث كل يوم بألف مَعتوه مثله، حتى نكسب عيشنا بشرف.

(يغادر)

الرجل : (يدق) سيدتي، سيدتي. (يتحد الرجل بصورته).

(تدخل الأشباح تتراقص في المكان).

الرجل : أريد أن أقول لك.

(يحولون بينه وبين الجدار).

الرجل : أريدُ أن أُصارحك..

(بصخب تعيقه الأشباح عن البوح).

الرجل : إنني، إنني..

(صخب عنيف)

الرجل : أحبك!

الأشباح : ههههههههه! ههههههههههو! ههههيييييي!

الرجل : أحبك.

صوت : وأنا كذلك.. أحبك.

الرجل : أحبك.

(إظلام)

**

المشهد الثاني

الشبح : ألا ترونَ معي أن النهاية السعيدة فاترةٌ بعض الشيء، تؤدي إلى الاطمئنان وعدم الالتفاتِ إلى.. الخَطر، نعم ما دَام كلُ شيء على ما يرام، فلا داعي للحركة. النهاية السعيدة غبيةٌ، وغير مقنعة بتاتاً. لذَّةُ الألم تعادل ألف طن من السعادة الفاترة، السعادةُ وهم والتعاسةُ الأصيلةُ هي الحقيقةُ الوحيدة، أكاد أموت غيظاً وأخاف من ابتسامة النهاية. حان وقتُ العمل.

(ينزوي)

(مرور وقت)

(هو وصورته في قلق كبير)

الرجل : (جيئة وذهاباً) ما الذي حصل يا ترى؟ فردوس أين أنت؟ لم تقل صباح الخير، لم تقل مساء الخير، كم مرَّ على ذلك؟ شهر، سنة؟ سنين؟ هل انتقلت إلى مكان آخر، أهيَ مريضة؟. لا لن تنتقل، ستفعلُ المستحيل من أجلي.

الشبح إنك تبحث عن الماء في

: السراب. (بألم) الحياة لم تعطِ.. حتى تأخذ. من أنت، كائن لا يعرفُ.. غير هذا القبو.. كان بإمكانك أن تعيش، أن تذوق السعادة بطعمها الحقيقي، لكنك معزول هنا، لا صديق ولا حبيبة، لا أمل سوى وهم الأحلام بينما العالمُ يصخبُ بعيداً عنك، والعمرُ يزحفُ عليك. ستهرم قريباً وتنظر إلى الخلف بحرقةِ ألف عام من الوحشة، ستندم بعمق، وتبكي بحرقة، لأنك لم تعش الحياة ولم ترها.

الرجل : أُغربْ عن وجهي.

الشبح : ستنقشع الظلمة لتجد نفسك عارياً إلا من الخيبة.

الرجل : ستعود.

الشبح : كيف تصل إليها إذن؟ ملايينُ الجدران دونك، أتحفر الصخر بأظافرك وقد غزتك الشيخوخة؟ إنك تعبثْ بنفسك. اليأسُ مفتاحُ الفرج.

(يختفي).

(يدخل الحارس).

الحارس : ماذا تفعل يا مجنون؟ الحفرُ ممنوعٌ هنا.

الرجل : أين هي يا سيدي؟

الحارس **:** من؟

الرجل **:** فردوس؟

الحارس **:** أي فردوسٍ هذه! اسألني عن الموت عنِ العذاب.

الرجل **:** أين هي؟

الحارس **:** نحن نقدّم الجحيم فقط.

الرجل **:** سأعطيكَ ما تريد.

الحارس **:** لم يبقَ ما أريده، لقد خُتِم عليك بالنهاية.

الرجل **:** كم تريد؟

الحارس **:** قالوا عنك الكثيرَ من الإشاعات، لكنني لم أتخيّل أنك بهذه الدرجة من السوء. ابتعد عن الجدار قلت لك.

الرجل **:** أين هي؟

الحارس **:** سننقلك من هنا لأنك متمرد. (يهم بالذهاب).

الرجل **:** لا تذهبْ، قل لي.

الحارس **:** ابتعد يا مجنون.

الرجل لن أتركك حتى تقرّ بالحقيقة،

: قل لي وإلاَّ حززتُ رأسك وأكلت كبدك.

الحارس : سفّاح.

الرجل : لن تهرب منّي. سأريكَ الألمَ الذي تُسببه للآخرين وأنت تبتسم.

الحارس : إنني أختنق.

الرجل : بل إنك تتخيّل فقط. تتخيّل أحداً يلفُّ الحبل حول رقبتك هكذا، وتتخيله يعقده هكذا ويسحبُ بقوة.

الحارس : آآآآآآآ!

(تدخل الأشباح وتمارس طقوسها الراقصة).

الرجل : أتريدُ دهناً لبلعومك؟ خذ.. خذ.

الحارس : أنقذوني.

الرجل : قل لي، النزيلة، أما زالت هناك، ماذا حلَّ بها؟

الحارس : أية نزيلة يا بني.. إنني أموت.

الرجل : قل.

الحارس : (مختنقاً إلى درجة أنه يصدّق نفسه) لقد رحّلوا النزيلات منذ زمن بعيد. والغرفة المجاورة يسكنها

رجلٌ مثلك.

الرجل : تكذب.

الحارس : أخ! صدقني، لا أحدَ هناك. ليس وراء الجدار سوى رجل مجنون آخر.

(يتملص الحارس ويهرب).

الرجل : ليس هناك فردوسٌ بالمرّة!!

يتشمع في مكانه).

الشبح : يا لـه من مسكين بائس. إيه، قلناها ونُعيدها ثانية: الحياةُ تسير، لا إلى غاية، بل تسيرُ فحسب.

(يغادر).

(دقات خفيفة).

صوت (خفيض): أنا فردوس..

(الرجل يلتفت.. تقترب صورته من الجدار).

صوت : من أنت؟

(صمت مطبق)

صوت : من أنت؟

صورته : أنا...

(ختام)

***

مأساة روما

«في روما القديمة عاش الملك حياة طويلة مرض في آخرها مرضاً توقع الأطباء أنه سيموت به بعد شهر. هذه قصته».

« في روما تلك عاش أُناس لم يعرف بهم أحد. ولدوا، ثم ماتوا ولم يخلفوا أثراً يذكر.. هذه قصتهم».

«وفي روما نفسها عاش الشاب الجميل رومانوس الذي أحبَّ الشابة الجميلة جوليتوس.. وهذه مأساتهما».

الشخصيات:

ملك روما (مصاب بالعقم).

الشاب رومانوس.

الشابة الجميلة جوليتوس.

الرجل الظل، **الطفل الظل**.

الرجال الثلاثة.

جنود، نساء، أطفال، حاشية..

الأمكنة: فضاء الملك.

فضاء الشاب رومانوس.

غرفة مظلمة تتدلى منها الحبال.

ساحة عامة.

ساحة معركة

المشهد الأول

(الملك على عرش ضخم جداً وشاهق جداً)

الملك: عشتُ عمراً طويلاً.. رأيتُ كلَّ شيء وذُقتُ كلّ شيء.. في ولادتي، تلك التي حدثت ذاتَ ليلةٍ ممطرة، ماتتْ أمي على فراشِ المخاض..

(ينبثق من الذاكرة)

(في مكان خرب، امرأة، حولها مجموعة من النساء، تتألم جرّاء الطلق العسير.. ثمّة رعد ومطر في الخارج، ثمّة ظلام يكبر ويكبر، صراخ طفل يُولد) أو:

الأم : إخرج يا ابن اللعينة.. إنكَ تُمزّقُ أحشائي.

الملك: لم أبكِ كالأطفال؛ بل نظرتُ إلى السماء واحتضنتُ أمي التي كانت تُزهِقُ الروح بي حنين إليها، إلى حضنها، إلى الدفءِ

الذي لم أذقه..

(ينبثق من الذاكرة)

(الطفل، الذي سيصبح ملكاً، يلعب مع الصغار، يأخذ طعام أحدهم ويهرب جانباً يطاردونه جميعاً لكنه أسرع وأقوى. يصدهم، وحينما يرى أنه مغلوب يضع الطعام تحت قدميه، ويدعك به التراب) أو:

(الملك المراهق يأخذ طعام أحدهم).

الطفل: طعامي.

الملك: ما دام بين يدي فهو لي.

الطفل: طعامي.

الملك: اسكت وإلاَّ..

الطفل: (يبكي).

الملك: (وهو يأكل) جبان، يبكي كالنساء.

(يجتمع أصحاب الطفل ويطالبون الملك بإعادة الطعام).

الملك: لن يُجبرني أحد.

أحدهم: ليس من حقّك أن تأخذَ طعامَه.

الملك: لا شأنَ لك.

آخر: أعدهُ إليه.

الملك: (يأكل في حذر والأطفال يحاصرونه مجتمعين).

الملك: إذا اقتربتم، أبطش بكم.

(يتحلقون حوله).

الملك: كلاب.

(يضع الطعام تحت قدميه ويدعكه بالتراب).

الملك: عليّ وعلى أعدائي.

(ويهرب منهم).

الملك: ما لا عبثُ الصغارَ في ألعابهم، كنت أكبر من عمري.. أحبُّ الصغار، وأعطفُ عليهم وأتنزهُ عن شططهم. في مراهقتي بدأتُ أتأملُّ العالمَ: كيف تكوّنَ، من كوّنه؟ أخذني الشكُّ حيناً وطوّعني العُرفُ حيناً، إلاَّ إنني لم أتركِ التأملَ لحظة..

(ينبثق من الذاكرة)

(المراهق الذي سيصبح ملكاً يُدخلُ شيشاً محمراً في دبر كلب، يشنق قطة، ويرمي الحجارة إلى أعلى).

الملك: إلى أعلى كنتُ أقفزُ كالحجارةِ التي يرميها صبيٌّ على طيرٍ بعيد..

(ينبثق من الذاكرة)

(الشاب الذي سيصبح ملكاً، في وسط مجموعة من أصدقائه، ساهم لا يتكلم بينما هم يمرحون. تدل ثيابه على الفقر المدقع ونظرته تدل على عدم الرضا).

الملك: حتى وصلتُ إلى القمةِ التي ترونني أتربعُ عليها..

(ينبثق من الذاكرة)

(جمهرة من الناس تهلل وتصفق. بينهم الرجل الظل الذي يختلف عن الجميع.. لا يلاحظه أحد. امرأة تلاعب طفلها. هم يمرحون بانشراح حقيقي، فرصة المرح نادرة عندهم لذا يبالغون في اقتناصها) أو:

الأم : يا حبيبَ أُمك.

(ينبثق من الذاكرة)

(الشاب رومانوس، الذي ما زال مراهقاً، يمرّ.. تظهر الشابة الجميلة جوليتوس مع صديقتها، لا تنتبه، يلمحها رومانوس فينشده. بالبطيء، يتحرك رومانوس، بالبطيء تمر الجميلة جوليتوس وحدها، لا تنتبه. تمر بالبطيء هي وصديقتها، تنتبه صديقتها إلى الشاب وتنبهها، الجميلة تخجل حينما تراه وتنحني تفادياً لنظراته. في الطريق يقف، تراه، وحدها هذه المرة، يبتسم فتبتسم. بالبطيء ينشرح قلب الشاب وتحس الشابة أنها قد وقعت في الغرام. يقف الشاب بالبطيء تحت شرفتها، يحيطه ضوء أزرق، ويكشف شرفتها ضوء

أخضر، ينتظر وينتظر حتى الصباح، لا أحد في الشرفة. في مرة تالية، يقف متكئاً إلى الجدار تحيطه بقعة زرقاء، وتظهر هي على الشرفة، تخبئ نصف رأسها وراء الجدار، تحيطها بقعة خضراء، يبتسم لها بالبطيء فتبتسم).

الملك: لا أدري، لا أدري، سوى أنّه محتّم..

(ينبثق من الذاكرة)

(أصحاب الشاب الذي سيصبح ملكاً، كلهم معلقون في حبال تتدلى من سقف غرفة مظلمة)

الملك: محتم أن تسيرَ في الطريق الذي تسير فيه.. غيرَ أنني لم أخدع بالشباب، لم أركض خلفَ نزوة. كنت أعرفُ أنَّ طريقاً شائكاً في انتظاري.. كان الشبابُ..

(ينبثق من الذاكرة)

(بالبطيء الشاب رومانوس يتكئ على عمود، يسرح في الخيال، يبتسم وينفعل صامتاً، ينظر إلى السماء وإلى الأفق، يتحسر، يشد قبضته، تظهر الجميلة في الشرفة، يضع يديه في جيبيه بالبطيء، يخرج ورقة، ويلفها حول حجر التقطه بالبطيء من الشارع، تنظر إليه

بالبطيء وبالبطيء يقذف بالحجر في اتجاه الشرفة.. في اللحظة ذاتها تنطفئ البقعتان).

الملك: يركضونَ نعم كالبغال، كالتيوسِ وراءَ ذكورتِهم أما أنا فبقيتُ محافظاً على..

(ينبثق من الذاكرة)

(بالبطيء، الشابة الجميلة جوليتوس في الشرفة وحدها تحيطها بقعة خضراء تقرأ الورقة التي رماها لها الشاب رومانوس. تبتسم. يمر الطفل الظل. تنظر الجميلة إلى القمر البعيد بالبطيء، وبالبطيء تحضن الورقة.. تنسحب، فتنطفئ البقعة) أو:

جوليتوس: (تقرأ) من بين كلِّ ما هو خالد، يتربعُ فناؤكِ عليّ، تتربعينَ أيتها الموتُ الجميلُ على دقاتِ قلبي.. لا بكلماتِ العشّاقِ أرشكِ، ولا بجنونهم أقيدكِ؛ بل بنوعٍ جديدٍ من الولهِ ونوعٍ جديدٍ من العبادة..قد تقولينَ ما هذا الهذيان.. الهذيانُ وحده يليقُ بكِ أيتُها الفردوسُ الشيطانية.. لو كنتِ كباقي النساء لعشقتكِ كباقي الرجال؛ ولكنكِ لستِ مثلهنّ ولن يكونَ قلبي مضخةً ولا حبي.. سأموتُ عشقاً لأحيا وستخلدينَ بهذا العشقِ على مرِّ الدهور. أعدكِ أنّ لعنتيَ

ستطاردكِ إلى أن تتملككِ أو تهلككِ.. أنصحكِ أن تُسلمي قلبكَِ للمجنون الذي أنا هو وأن تمشي في طريقِ خلوده..
المحب رومانوس.

الملك: (يضحك) هي هيَ هِي..

(ينبثق من الذاكرة)

(الملك – وحده، بقعة صفراء تحيط به. يتأمل هنا، وهناك، يتحسس جسده الشائخ. يتراكم العبوس في وجهه الشاحب، يزداد ارتعاشه، يرتفع ألمه.. ثم يبكي بانتحاب شديد).

الملك: لم أدع لنفسي لذةً لم أنلها، ولا نادتني نفسي لشيءٍ ما حققته. دخلتُ دروباً مظلمةً كثيرة، وأغمدت سيوفاً كثيرة..

(ينبثق من الذاكرة)

(مكان عام يتصايح فيه الباعة، نساء تستجدي أو تعرض نفسها للمارّة، صبية صغار يصرخون، ويتراكضون، جندي متمنطق سلاحه يمر دون أن يكترث به أحد، عجوز بالكاد تنقل قدميها من مكان إلى آخر تتوكأ على عصاها، طفل يسرق ويهرب... وفي زاوية ما يقف (الرجل الظل) الذي يختلف عن الجميع يراقبهم دون أن يراه أو يشعر بوجوده أحد، يبدو أنه يكبر ويكبر أثناء

وقوفه حتى يشيخ، ثم يصغر ويصغر إلى أن يتحول إلى صبي) أو:

بائع : يقولونَ إن البضائعَ ستنفذُ من الأسواق... أسرعوا، أسرعوا..

رجل : أعطني...

امرأة : أين أنتم؟

رجل : في بيتٍ قريب.

امرأة : أُحضرُ أختي معي..

رجل : ستكونُ ليلةً...

عجوز : كح كح كح... تفوه على الدنيا وأهلها...

طفل : أي خدمة سيدي أي خدمة سيدتي...

امرأة : لا.

عجوز : كح كح كح.. تفوه عليكم جميعاً...

الملك : إني أخبركم أنني لن أسمحَ بأيّ انحرافٍ مهما يكن...

(ينبثق من الذاكرة)

(الرجل الظل، وحده في تأمل، يرى رومانوس وجوليتوس في خلوة عاطفية، وهما يتهامسان)

الرجل الظل : نعم، الحلم وحده... الحلم هو الحياة.. احلما احلما...

الملك : وكما بنيتُ نفسي بنفسي، أريدكم أن تحافظوا على البناءِ بأنفسِكم. في سبيل أن أصلَ

فعلتُ كلَّ شيء.
أقصد كلَّ ما يجبُ أن يفعَلهُ رجلٌ حكيم ومحارب. لربما سمعتم عن أبي وما حصلَ بيننا: كلامٌ فارغ، لم أفعل ذلك.
لم أفعلْ الكثيرَ مما يُشاع وفعلتُ الكثيرَ مما لا يدري به أحد. إلا أنني في كلّ ما فعلت بقيتُ إنساناً محارباً شريفاً وسيداً مُطاعاً. كانتِ الريحُ تعصفُ، دائماً الريحُ تعصفُ لكنني لم أخفْ من شيء.
(ينبثق من الذاكرة)

(بالبطيء، الشاب والشابة محاطان بالناس التي ترقص وتغني، يرقصان هما أيضاً، وليمة صغيرة فيها نساء عجائز، وأطفال وشباب في غاية الفرح، يزفان لبعضهما وقد أحاطتهما البقعتان الزرقاء والخضراء، وبالبطيء يبتدئ الظلام، ويمر الطفل الظل) أو:

امرأة : أحضري الكؤوس..

فتاة : حاضر أمي.

امرأة : مبروكِ يا فتاتي.

جوليتوس: شكراً خالتي...

خالتها : لولا أبيكِ، وأهل رومانوس لما أعطيناكِ لغريب..

جوليتوس: النصيب... شكراً عمتي..

شكراً.. شكراً

عجوز : الفقرُ يأكلهم...

عجوز : نعم ويبذخون...

عجوز : يتصورونَ أنفسَهم أغنياء...

عجوز : ما يهمنا، المهم أن نشبعَ بطونَنَا على حسابِ الأغبياء.

عجوز : كح كح كح اللعنة على التخمة.

الملك: إما أعدائي فقد أكلهم الإهمالُ أو التراب...

(ينبثق من الذاكرة)

(ثلاثة رجال، يتهامسون)

الأول : الوضع في تأزم.

الثاني : ستسنح الفرصةُ قريباً.

الأول : لكن لم يحصلْ شيء بعد.

الثاني : الخوف والرغيف.

الأول : لكنه هِرِم.

الثاني : التسرعُ يؤدي إلى نتائجَ عكسية.

الأول : بل الانتظارُ يضيع الفرصَ السانحة.

الثاني : المسألةُ الآن مختلفة.

الأول : كيف؟

الثاني : إذا مات الملكُ فسيتصارعُ أعوانهُ ويتفرقوا، ويكون القضاءُ

على الأفرادِ حينها أسهلَ من مواجهةِ الجيوش.

الأول : قد يسيطرُ أحدُ الأعوانِ ويُصبح كسابقه.

الثاني : سيصفّي بعضُهم بعضاً، وسنُصفي الذي يبقى.

الملك: لم أكن وحدي، فثمةَ جنودٌ سيرونَ دائماً...

(ينبثق من الذاكرة)

(الرجل الأول يهرب خارج الحلبة.. وفي الغرفة المظلمة التي يتدلى من سقفها حبل طويل، يتدلى رجل، تنفتح الإضاءة عليه شيئاً فشيئاً، فإذا به الرجل الثاني... الرجل الثالث يمسك بمعدته، يتلوى ألماً، يصرخ، يستجير) أو:

الرجل الثالث: بطني بطني، أيها السفلة، أهذا جزاءُ إخلاصي لكم. غدر، الغدر. سأفضحكم... (يموت).

الملك: والآن.. حانَ الرحيل. سريعٌ هو المجيءُ، وأسرعُ منه الذهاب. حانَ كرمشةِ عين. بالأمس كنتُ أجلسُ هنا ولم أبارح الثلاثين.. وها أنا في الثمانين الآن... غبيٌّ مَنْ يضيعُ لحظةً في الحياةِ دون أن يستثمرَها... تلك هي حكمتي.

(ينبثق من الذاكرة)

(في بيت رومانوس، جوليتوس، حولها مجموعة من النساء، تتألم جرّاء الطلق العسير ثمة رعد ومطر في الخارج وصراخ طفل يولد) أو: جوليتوس: ولد؟ سنسميهِ على اسمِ أبيه. (يغمى عليها)

الملك: سأرحلُ عما قريب، وسأظل بينكم إلى الأبد.. كل ممتلكاتي ستبقى باسمي إلى الأبد، وستشرفون عليها حسبما أوزعها أنا، دون أن يحقَّ بيعُ أو شراء لأحد.. أريد أن تبقى الأشياء كما لمستُها وكما صنعتُها، أريدُها أن تظلّ كما أردتُ لها، تظلَّ إلى الأبد...

(الجميع: مفهوم)

(ينبثق من الذاكرة)

(مجموعة من الناس تتحرك بعشوائية. أحدهم يبيع والآخر يشتري. أحدهم يهجم على أحدهم. الناس تنظر إليهما، بعضهم يشجع هذا بعضهم يشجع ذاك.

بينما يراقبهم عن بعد الرجل الظل دون أن يحسوا به) أو:

رجل : اضربه..

رجل : تعودوا أن ينهشوا..

رجل : لقد راهنتُ عليك يا خنزير..

طفل : (يمد يده)

رجل : الليلة أيضاً...

امرأة : نعم، مع أختي؟

رجل : أركله..

امرأة : بكم هذا؟

عجوز : كح كح كح، سأُداس بالرجلين!

الملك: وكل من يُقصّرُ في أيةِ فقرةٍ من فقراتِ وصيتي تُسحبُ منه كل مقتنياتِهِ ويُرمى إلى الشارع دونَ رأفة... مفهوم؟

الجميع : على العين والرأس..

(ينبثق من الذاكرة)

(ساحة معركة تتقابل فيها الجنود وتتقاتل، يسقط هذا ويسقط ذاك، صراخ وهرب)

الملك: أريد أن تبنوا لي قبراً كأنه القصر، فيه باحاتُ واسعةٌ خضراء، ومبانٍ كبيرة مبهرة... أريدكم، في كلّ عام، أن تهرعوا إلى قبري: تقيمونَ الولائمَ وتذكرونني بحسناتي ورجولتي وعنفواني وكأنني حيٌّ بينكم...

(ينبثق من الذاكرة)

(جمهرة من الناس تهلل وتصفق، تمرح بانشراح زائف)

الملك: افعلوا ما تشاءون، وكونوا مثلي فقط لكن إياكم والإساءة إلى

اسمي، أريده ذهباً ناصعاً كما هو... لا أكثرَ ولا أقل.. وإلى أن يحينَ موعدي ستبقى الأمورُ كما هي.

(ينبثق من الذاكرة)

(مجموعة من الناس، يتكور كل منهم في مكانه تحيطه بقعة ضوء، لا يتكلمون، بل يهمهمون، يتلوى بعضهم، يغني بعضهم، يبكي بعضهم، يغازل أحدهم امرأة، يشرب أحدهم، يتعبد آخر، يقرأ أحدهم، تتزين إحداهن، تنحب أخرى، طفل عار تماماً، وسخ يبكي، تنظر أمه بلامبالاة، تصرخ في وجهه وتضربه ضرباً عنيفاً. يسقط عليهم جميعاً المطر، لكنهم لا يشعرون به، مثلما لا يشعرون بالرجل الظل الذي يراقبهم) أو:

رجل : أجل أجل..

امرأة : أكثر أكثر..

رجل : آآآآآآآآآآآه..

امرأة : (وهي تنظر في المرآة) تصلّبَ وجهكِ.. وجفّ الماءُ فيه.

امرأة : (وهي تضرب طفلها) لا تفعل ذلك يا ابن الكلب. لقد دمرتني!

الرجل الظل : إنها تُمطر.

الملك: سنحارب، لا داعي لذكرِ

الأسباب.. عليكم أن تستعدوا فقط.

(ينبثق من الذاكرة)

(الناس متجمهرة، تتكلم مع بعضها في لغط وتحيط بالرجل الظل، يبدو أن الفوران يزداد، تدخل الشرطة وتفرقهم بالعصي ويهرب الرجل الظل)

أو:

رجل : لم نره.

شرطي : كذّاب..

رجل : لقد هربَ في هذا الاتجاه..

امرأة : أخ.

امرأة : (لطفلتها) اهربي يا صغيرتي.

شرطي : امسكوهم.

شرطي : (يضرب بالعصا)

الملك: وسينتهي الأمرُ حسب المرام...

(ينبثق من الذاكرة)

(الرجل الظل يركض، وخلفه يركض مسلحون، يختفي ويبحثون في أغراض الناس وحوائجهم ، يأخذون بعضهم، صخب ولغط وضرب)

الملك: نعم...

(ينطفئ الضوء عن الملك وينفتح الضوء على غرفة مظلمة يتدلى منها حبل يتدلى منه رجل... تفتح الإضاءة عليه، فإذا به الرجل الظل)

**

المشهد الثاني

لقطة

(يمر الطفل الظل، والجميلة جوليتوس تقف على الباب، الشاب رومانوس يودعها بالبطيء، يعود إليها يحضنها، يقبّلها بشغف، يفترقان، ويعود ثانية.

لا يستطيع أن يتركها ويذهب إلى الحرب، تومئ له بأن يذهب كي يعود سريعاً، الشاب لا يريد الذهاب، تمر الشرطة من أمامهما، فيهرع بالذهاب مع دموع تترقرق في عيني الجميلة) أو:

رومانوس: جوليتوس.

جوليتوس: رومانوس.

رومانوس: لا أستطيع.

جوليتوس: (تتنهّد)

رومانوس: لا أستطيع أن أذهبَ وأدعكِ للوحدة.

جوليتوس: (تصمت)

رومانوس: يكاد قلبي ينفطر.

جوليتوس: أنا أكثر يا حبيبي.

رومانوس: لن أذهب.

جوليتوس: ابقَ، يا حبيبي، ابق.

(يحتضنها)

رومانوس: لا، أنا ذاهب.

جوليتوس: أخافُ عليكِ من الموت.

رومانوس: أخاف عليك من الحياة.

جوليتوس: ثقْ بي، يا حبيبي. ستذهب وتعود، وجوليتوس كما هي: حبيبتُك الأبدية التي لن يغيرها شيء.

رومانوس: أبقى لحظات واذهب.

جوليتوس: نعم.

رومانوس: أريدُ أن أشبعَ منك.

جوليتوس: الأطفال، يريدونَ تقبيلَك.

(يحضنهم)

رومانوس: جرائي الصغار.. سيذهب أبوكم...

جوليتوس: وسيعودُ سريعاً.

رومانوس: ماذا أحضر لكم، ها؟ (يبكي)

(تمر مجموعة من الرجال المسلحين)

جوليتوس: (تومئ لـه باتجاههم وتقبض على يده وتقبلها)

رومانوس: ينبغي أن أذهب. (لا يتحرك من مكانه)

جوليتوس: إذهبْ. (وهي تمسك به أكثر)

رومانوس: ها أنا ذاهب. (لا يتحرك)

جوليتوس: نعم. (والدمعة تسقط بالرغم منها)

رومانوس: (بالكاد ينتقل خطوة واحدة)

جوليتوس: (بالكاد تمنع نفسها من النحيب)

(تمر دورية شرطة الملك)

(يغادر رومانوس بينما تقف جوليتوس على الباب، لحظات.تدخل وتوصد الباب خلفها)

**

لقطة

(ساحة حرب، سيوف تقرقع، سهام
تنطلق وسهام تصيب، يقع هذا متألماً،
يقع ذاك، يظهر رومانوس وهو يقاتل،
يصرع أحدهم، يطعنه آخر في فخذه،
يصرخ متألماً، يقع والنزيف يغمي عليه)

لقطة

(الجميلة جوليتوس وحدها في شرفتها، تطالع وجه القمر، تسمع شقشقة العصافير، تحلم به وهو يحضنها، تتأوه، تحيطها بقعة خضراء تتحول إلى صفراء، تغادر، فتنطفئ البقعة.. بينما يمر طفل صغير هو صورة مصغرة من الرجل الظل، ويختفي في الظلام) أو:

جوليتوس: عُدْ... عد أيها الغائبُ الحبيب.. فما عادتْ حبيبتك قادرةً على الاستمرار.. كل شيءٍ يحاصرني.. الرغبةُ والحاجةُ... إنني امرأةٌ أيها الرجل.. كائن... إذا نفدَ صبرُهُ ضاع... وهاهو صبري قد نفد... عُدْ قبل فواتِ الأوان.. قبل أن أخسر نفسي أو أجن...

لقطة

(حركة سريعة، حيث يعود الشاب، إلى بيته دون ساقين، تتلقاه الجميلة وهي تخفي نحيبها، يضعونه على سريره. حوله أطفاله يتصارخون وهم يعصرون بطونهم، تذهب الجميلة وتعود وتذهب وتعود، تذبل هي ويراقب هو، يعرف إلى أين تذهب ويسكت، يمسك بسيفه، يحاول أن يحز تفاحة آدم ويرتاح، لا يقدر، يكررُ المحاولة ويفشل، تعود، ويلتف عليها الأطفال، يأكلون، تحمر عيناه وتنتفخان، تهرب هي من نظراته، ثم تحاول احتضانه، يرفض. بحزم يقرر ما سيفعله)

أو:

رجل : على مهلكم...

جوليتوس : زوجي...

امرأة : يا خسارة.

رجل : برفق، برفق..

جوليتوس : ما هذا... رومانوس! (تصرخ)

رجل : ضعوه هنا، نعم...

جوليتوس : .. حبيبي.

امرأة : يا إلهي...

امرأة : (تبكي) ضاعَ شبابُه المسكين..

جوليتوس : تكلم يا حبيبي.. أتعرفني، أنا...

امرأة : لا تكوني مجنونة، ماذا يُفيد تمزيقُ الملابسِ أو نثر الشعر...

امرأة : أنتِ حامِل، فكوني رفيقةً بنفسك...

جوليتوس : لا حياةَ لي بعده...

امرأة : الصبر، الصبر..

عجوز : كح كح كح، اللعنة على الحروب. لقطة

جوليتوس : (تنظر إلى صغارها الذين يأكلهم الجوع وإلى الزوج المتمدد على سريره)

رومانوس : (يئن، ويقع في غيبوبة)

جوليتوس : (تخرج وتعود تخرج وتعود والصغار يزداد أنينهم) ويلي.. ما الذي أفعله؟ لا أستطيع..

لن أقدر على المقاومة.

رومانوس : آه!

جوليتوس : اصبر اصبر.

رومانوس : هل أكلَ الصغار؟

جوليتوس : (تكذب) نعم، نم أنت ولا تفكر بشيء.

رومانو حسناً.

س :

(جوليتوس تذهب وتجيء، رومانوس يئن، الصغار يبكون)

جوليتوس : (تقرر رغماً عنها) سأفعلُ ما لا أريد.

رومانوس : (يقع في الغيبوبة)

**

لقطة

(الشاب يزحف إلى الباب، ثم يحضر قِدراً كبيراً، يضع فيه شيئاً، ويعيده بصعوبة إلى مكانه، تدخل الشابة الجميلة وأبناؤها، ينزل من على سريرها ويومئ لها بإحضار الطعام. يلتف حوله أطفاله، ينظر إليهم، يتألم ويصرخ باكياً. تأتي الجميلة وتحضنه، وبطبطب على كتفها، ويومئ لها أن تأكل معهم. لحظات وتمتد أيديهم إلى القدر التي ملأها الشاب بالسم. بقعة زرقاء تحيطهم، بقعة خضراء تتداخل معها، بقعة حمراء تجتاح الاثنين معاً، ويهجم الجميع على الجوع) أو:

رومانوس: (وهو يزحف باتجاه القِدر) سامحوني يا صغاري.. نعم أبوكم جبان؛ لكنه لا يستطيعُ أن يراكم وأنتم في هذا الحال.. إنهُ يفضّلُ الموت.. موتكم وموته على ذلك...

(يضع السم في القدر)

رومانوس: أبوكم خصي.. لا ينفع لشيء. دارتَّ به الأيام حتى تحوّل إلى خرقةٍ باليةٍ مرميةٍ في قبوٍ رطب.. يراكم تذبلونَ ولا يفعلُ إلاً أن يتحسرَ ويلعن.. يرى جميلتَهُ تنزلق ولا يُحرّكُ ساكناً.. ها قد سئمت... سامحوني يا جرائي.

(تدخل الجميلة وأطفالها)

رومانوس:	لنأكل سوية
جوليتوس:	(وهي تُعدّ الطعام) لا. أنا ذاهبة الآن
رومانوس:	منذ مدة طويلة لم نأكل سوية.
جوليتوس:	لدي بعض الأعمال أقوم بها.
رومانوس:	لأجل الصغار،
جوليتوس:	(تهم بالذهاب)
	(يجلسها بالقوة، نظرات ريبة متبادلة، الألم بائن في وجه رومانوس والقلق حائر في وجه جوليتوس.. ثوان محرجة ويهجمون على الجوع)

لقطة

(الشاب يتلوى ألماً هو وأطفاله، الشابة تتقيأ، وتصرخ، الأطفال يختنقون بسرعة ويموتون، الشابة، تزحف باتجاهه، وهو يزحف باتجاهها، قبل أن يصل إليها، تموت، يبقى هو يصارع الألم، ناظراً إلى السيف المعلق على الجدار وأطفاله الأربعة المنطرحين في وسط الغرفة وزوجته التي همدت تماماً.. يقع ميتاً مع انتشار الضوء الأزرق في المكان)

لقطة

(على كرسيه الشاهق يجلس الملك، وتحته الأعوان، المنحنيي الرؤوس بعد هزيمة كبيرة... ينظر إليهم منتصراً)

الملك : قال الأطباء أن صحتي على ما يرام، وإنهم اشتبهوا بمرضي.. هاها. يبدو أنني سأعيش إلى الأبد.

لقطة

(صخب وضجة في الخارج، بينما الغرفة
مظلمة، يتدلى منها حبل طويل، تكشف
الإضاءة عن مشاعل وأناس تحيط بجثة
رجل تتدلى من حبل يتدلى من السقف.
تكشف الإضاءة عن الملك معلقاً
بالحبل)

لقطة

(يمر الطفل الظل، مسرعاً، يطارده رجال يرتدون السواد، يختفي، والرجال يهرولون في كل اتجاه)

أو :

جندي : هل رأيتم طفلاً صغيراً يمرُّ من هنا؟

جندي : أنت تعال هنا.

جندي : امسكوا ذاك.

جندي : أنت أيها الملثم قفْ بجانب هذه المرأة.

جندي : قفوا صفاً واحداً.

جندي : أنتم تعلمونَ أين هو

(يحاول أحدهم أن يتكلم فينهالوا عليه بالضرب)

جندي : تحركوا، تحركوا.

(يأخذونهم إلى الخارج، ونسمع أصوات ضرب وشهقات عالية)

(إظلام)

***

هو

الذي رأى كلَّ شيء

المكان: (غرفة العجوز التي تتحرك بين المجاز والواقع، بين الغنى الفاحش والفقر المدقع)

الشخصيات

العجوز : أعمى لكنه يرى

المبشر : الحكيم الأخضر

المؤجر : الجار

الابن الأصغر :

الابن الأكبر :

المشهد الأول

العجوز : (لنفسه) أذهب؟ إلى هناك؟
أبقى، أبقى، هنا؟ لكن إلى متى؟
إلى أن يأتي؟ وافترض أنه تأخر؟
أو أنه بحاجةٍ إليّ..

(يلف، يدور، يتقدم، يتأخر، يرتطم هنا، يقع، يقف، يتجه إلى الباب بصعوبة)

(يدخل المبشر وهو شخصية مرحة تشيع جواً من الخدر في النفوس)

المبشر : (بمرح فائض) هيه

العجوز : من؟

المبشر : ناقلُ السعادات، ومُقرّب الجماعات، خادمُك المطيع خدّة بن خدر.

العجوز : أين كنت؟

المبشر : لا تسألني. تعلمُ إنّ عليّ أن أطرقَ الأبواب كلَّها، فالكلّ يطلبني.

العجوز تأخرتَ عليّ.

المبشر : تأخرت؟ حقي، أي والله حقي. الناسُ لا تعيشُ بدوني. كالذبابِ يطنّونَ فوقي. في الشارع المقابل مثلاً عجوزٌ صبيةٌ في التسعين، فقدتْ سنَّها الذهبيّة. يالقسوةِ قلبي إن لم أساعدها. وجارُها ـ نعم صاحب القصرِ الفخم ـ لديه حكّة في الشرَجِ منذ يومين.. المسكين.. أضطرَّ إلى اعتزال الناس، فالمسألةُ مخجلة، وجارُه، متخمْ. جمّعتُ الطلباتِ وهرولتُ إلى الحكيمِ الأخضر فبتَّ في كلّ مسألةٍ على حِدة.

العجوز : وتركتَ مُعضلتي!

المبشر : أنانيون. الكلّ يسرقُ النارَ لخبزه وللقير بخبزِ الآخرين.
الأنانيةُ تغلّفكم ـ للأسف ـ وهي كافيةٌ للقضاءِ عليكم أجمعين.

العجوز : دعني من هذا وقلْ لي: أين هو، ولدي؟ متى يعود؟ متى؟

المبشر : حيلك حيلك! أولاً عليك أن لا تسألَ، لأنَّ الذبابَ الأزرقَ لن يعرِفَ لك طريقاً إن سألتْ. ثانياً: كُنْ شفيقاً بي وبعقلك. لكي تحترمَ الإجابةَ عليكَ إن تسألَ سؤالاً واحداً، يتبعهُ سؤالٌ واحدٌ وهكذا تتفرقُ الأسئلة

والأجوبة، وعليك ـ إن امتلكتَ القدرةَ والوقت ـ أن تجمعَ الإجابات بعضها إلى بعض.. لو تذكرتها.

العجوز: أين هو؟

المبشر: (صارخاً) أطلقتُ هذا السؤالَ على الحكيمِ الأخضر.

العجوز: (مُنصتاً وفي كامل العمى)

المبشر: وأجابني قائلاً

الحكيم الأخضر: غادركَ ابنُك الأكبر قبلَ سنوات، وتركَكَ وحيداً للعثِ والبرد.. انتظرتَهُ طويلاً، حتى أخذتِ الدموعُ بصرَك، أكلكَ القلقُ واليأس، صرتَ تنافسُ الكلابَ على المزابل. لا أحدَ يمدّ يداً إليك، نتأتْ عظامُك وجفّتِ الروحُ فيك..

العجوز: صحيح.

الحكيم الأخضر: ابنُك يتنقلُ بين الأمكنةِ، يدخُل بلاداً عديدة، الأبوابُ تُغَلق في وجهِهِ، ويرميهِ الصغارُ بالفضلات..

العجوز: يعاني مثلَ أبيه في شبابه.

الحكيم جابَ الطرقاتِ وحيداً، مُهملاً..

الأخضر: عملَ في أردأ الأعمالِ، ونامَ على الأرصفة، لكن..

العجوز: لكن ماذا؟

الحكيم الأخضر: لكنّهُ كافح. عرفَ الأسرارَ كلَّها، تكشَّفَتْ له الظلماتُ ورأى. نعم هو الذي رأى كلّ شيءٍ وحفِظَ كلَّ شيءٍ، ولهُ على كلِّ شيءٍ يدٌ أو سلطان.

العجوز: عرفَ الأسرار كلّها.

الحكيم الأخضر: لا يفعلُ إلا أن يمسَّ الشيء تُراباً كان أو هواء فيتحولُ إلى ذهب ذهب أصفر جداً جداً.

العجوز: (يرقص) ذهب ذهب...

الحكيم الأخضر: وهكذا تتحول الدروبُ إلى صُفرةٍ ناصعةٍ حين يمرُّ بها، والحقول إلى صُفرةٍ والجبال.. العالمُ أصفرُ أصفرُ يلمعُ بالذهب.

العجوز: هو غنيّ إذن.

الحكيم الأخضر: إلا أنّ يداً تمتدُّ في الخفاء، هزمتْها قدرتُه، تحاولُ أن تُعمي نورَه، تُحاولُ أن تطعنَهُ في..

العجوز: (ممسكاً بالمبشر) ولدي.

المبشر: ثم...

العجوز: (صرخة)

المبشر: صحا الرجلُ الأخضرُ من غيبوبتِهِ.

العجوز: أرجِعْهُ إلى غيبوبتِه، أرجعه.

المبشر: لا.

العجوز: أريدُ أن أعرِفُ ما حلَّ بولدي.

المبشر: الحكيمُ الأخضر ليس حماراً، إنه بشرٌ من لحمٍ ودم. له حقٌّ أن يرتاحُ قليلاً. فَمهماتُهُ شاقةٌ ويحتاجُ إلى طاقة.

العجوز: طاقُتهُ عليّ.

المبشر: طاقةُ الأخضرِ النوايا الطيبة. (يستدرك) وقليلُ الجودِ من الموجود.

العجوز: له ما يطلبُ..

المبشر: هكذا أعيدُ الرجلَ إلى غيبوبته التي تمتصُّ دمَه مجاناً.

العجوز: تقفُ بيني ورؤيةِ ولدي.

المبشر: الحياةً لم تنتهِ بعد، ومادام الرجُلُ الأخضرُ موجوداً وأنا موجود فإنه سيحلم بابنك ويراهُ ولو كان في بطنِ الحوت.

العجوز : إنك تُخفي عني الحقيقة.

المبشر : أنا مجردُ رسول,, رجلٌ عاديٌّ مثلي مثل أي حذاءٍ قديمٍ في أيّ شارع قذر.. مهمتي أن أنقلَ ذبذباتِ كلامِ الأخضرِ إلى الآذان. والآن عليّ أن أبشّر جارك الذي فقدَ أبناءَهُ الثلاثة.

(يغادر)

العجوز : ذهب ذهب

(يدخل الجار وهو صاحب البيت كما يدّعي)

الجار : لقد طفحَ الكيلُ بي، أنا الجارُ الأولُ ولستُ السابع، بي أن المسكين الطيّب الذي يُؤكلُ لحماً ويُرمى عظماً.

العجوز : ما بك يا صاحبي؟

الجار : لا صحبةَ في هذا العالم, إننا في غابة، الكلُّ ينهشُ الكلَّ دون رأفة.

العجوز : سيغيّر كلَّ شيء.

الجار : الإنسانيةُ تنحدرُ إلى الحضيض، تنكمشُ بالحروبِ والتجارة، وستتلاشى بساكنيها في آخرِ المطاف.

العجوز هو يهتمُ بالكلّ، وسينقذُ الكلّ.

:

الجار : (يؤشر على العجوز) الجارُ يحوّلُ بيتَ جارِهِ إلى مزبلة، أين حقُّ الجيرة؟

العجوز : (ذاهباً في حلم) كنا لا نعرف بيتَنا من بيت الجار، أطفالُنا ينامون حيث ينعسون، نأكلُ من القِدرِ نفسه، تتحلقُ الأمهاتُ أمامَ الأبوابِ والأطفالُ يطاردونَ الخنافسَ تحت أعمدةِ الكهرباء، كنّا نتخاصمُ ونتشاجرُ، لكنّه الحبُّ، ذلكَ الذي افتقدناه...

الجار : رحلَ الحياءُ عن قلوبِ الناس وتغيّرتِ المعادن..

العجوز : تشوّهتِ الأشياء...

الجار : لا يُفكرُ أحدٌ في أحد.

العجوز : إلاه....

الجار : ثمة عجوزٌ متمكنٌ مليءُ الكرشِ لا يراعي أن غيرَه لا يجدُ الترابَ كي يلهمَهُ ولا يعرِفُ أنَّ أناساً تأكلُ أظافرَها.

العجوز : ... يفكّر في الجميع.

الجار : كل يوم قناني لا نعرفُ لها أولاً من آخر. كل يوم زبالة تكفي عشاءً للموزمبيق كله.. وكل ذلك أمام عيونِ أولادي الصغارِ

الجائعة...

العجوز : سيتغير ذلك كلُّه...

الجار : هل تحولتَ إلى إذاعة! كل شيء جميل ورائع، ما بك، إنني أقصدُك.

العجوز : وما شأني؟

الجار : ما شأنك.. أنت من حوّلَ بيتي إلى مزبلة.

العجوز : غيري من حولَهُ إلى مزبلة.

(تسقط الفضلات من بيت الجار إلى حوش بيت العجوز)

الجار : غيري، غيري.. الكلّ يقولُ غيري. هل سمعتَ بمجرمٍ امسكوه مُتلبساً ولم يقل غيري هو الذي قتل.

العجوز : وأيُّ جرم اقترفتُ غيرَ ضعفي؟

الجار : يدهُ ملطّخةٌ بالدم ويظنُّها بيضاءَ كعباءةِ زوجتي.

العجوز : كُنْ مؤدباً.

الجار : نحن عنوانُ الأدبِ. إن الأدبَ نفسَه يتعلم الأدبَ من آدابنا.

العجوز : نعم، والدليل: الحجارة التي يرميها أولادُك على زجاج النوافذ.

(الحجارة القادمة من بيت الجار تكسر النوافذ، يتعالى صياح الصغار ابتهاجاً)

الجار : صدفة. صدفة إنك وُجِدت في المكانِ الذي استقّرتِ الحجارةُ فيه.

العجوز : صدفة! وكل يوم!

الجار : اسمح لي لو لم تكنْ في المكان، لما كانَ الزمان، هكذا سمِعتُهم يقولون.

العجوز : أتصدق نفسَك.

الجار : لو أنّ عاقلاً يحكمُ بيننا لأقرّ بأنك تتجنى على الصغار. الأطفال تعودوا على العراك. هذا يهمشُ هذا، وذاك يدمي أنفَ ذاك. أحدَهم يمزق ملابسَ أحدِهم، وتهطلُ الحجارةُ كالمطرَ على النوافذ.

(تهطل الحجارة كالمطر)

العجوز : أطفالك سينحرفون.

الجار : يكبرون غداً ويعقلون.

العجوز : وزوجتُك؟

الجار : ما بها؟ (رابطاً ذِكرَ زوجته بالانحراف)

العجوز تَلقي عليّ ماءَ الغسيل.

:

الجار : نظرُها ضعيف.

العجوز : عيون البقر وتشكو البصر!

الجار : الرؤية بالقلب وليس بالعين يا أعمى. مسكينة، ستقتلها الهموم.

ثم تعال هنا أتتهرب من الموضوع بأشياء تافهة كهذه؟

العجوز : (بصوت خافت، متذكراً ابنه الأكبر) ما عذرك حينما يأتي؟

الجار : اسمع، أعطيك يومين كآخر مهلة ثم أرمي بك في الشارع. كفى استغلالاً لطيبتي.

(يغادر)

العجوز : لو عَلِم بما تفعله بأبيه الحبيب لضربك ضرباً مبرحاً، لعلّق أطفالك الشياطين من رؤوسهم بالأشجار، وسلخ جلد الحيزبون زوجتك. اللعين، يمتص دمي ويتباكى.. مع أن البيت بيتي!

(يدخل المبشر)

المبشر : البشرى، البشرى.

العجوز : جاء!

المبشر : حتماً.

العجوز: (متلهفاً للسماع، مرتعشاً)

المبشر: حلمتُ به وكأنه يركب على حصان أخضر × أخضر، يدخل في دروب خضراء خضراء، والناس خضر يمشون وراءه.

العجوز: أكملْ.

المبشر: فهرولتُ إلى الحكيم الأحمر.

العجوز: أحمر!

المبشر: ابتسم وقال:

الحكيم الأخضر: خاتمة خير، لقد صبر العجوز حتى ظفر.

العجوز: قرُب الظفر.

الحكيم الأخضر: دعْ العجوز يقدّم العطية حتى تصح الرؤية.

العجوز: هو في الطريق.

المبشر: كل شيء في الطريق، الحياة والموت..

العجوز: سأستعد.

المبشر: جاحد، عليك أن تشكر أصحاب الفضل أولاً، فلولاهم لضلّ الطريق وأكلته السباع.

العجوز : شكراً لك.

المبشر : ستحل بكم اللعنة لأنكم ترفسون النعمة بأرجلكم.

العجوز : لا تغضب، فطاقتك في القلب.

المبشر : يفضّلها الحكيم الأخضر في الجيب.

العجوز : غداً يأتي، ها؟

المبشر : العجالة تقودكم إلى الخسران دائماً. فما أن يقترب أحدكم من زوجته حتى يتعجل فيفسد اللذة، وما أن يخطط لأمر ما حتى يتعجل فتضيع الفرصة. المتعجلون إخوان الخسارة الفادحة.

العجوز : حقي يا رجل، ابني ولم أره منذ (15) عاماً، بل ربما (20) عاماً بكاملها.

المبشر : يا عجوز.

العجوز : نعم.

المبشر : عندما ترفع يديك إلى السماء بالدعاء، وتريد مطراً من الغيوم، كم يستغرق الوقت بين يديك وهطول المطر؟

العجوز لا أدري.

المبشر: ها! ترسل الشمس أشعتها إلى البحر أو النهر أولاً. يتبخر الماء، تأتي الريح وتحمله إلى مكان ما، يتخلخل الضغط هناك، يتكثف البخار، وبتأثير برودة الهواء يتحول إلى قطرات تسقط من أعلى... قدّرْ المسافة بين اليدين والغيوم وستجد أنني لم أكذبك القول.

العجوز: يعني...

المبشر: اطمئن.

العجوز: سأطمئن.

المبشر: وصفّي النية.

العجوز: متى تصفو النية؟

المبشر: الأمر متعلق ببياض قلبك، وصفاء سريرتك.

العجوز: هي كذلك.

المبشر: إذا رجع فالفضل للأخضر، وإذا لم يعد ففتش في نفسك وطهرها من أدرانها.

العجوز: أثمة علامة؟

المبشر: حينما يخضرّ الغسق.

العجوز: حينما يخضر الغسق..

(يغادر المبشر، من اليمين)

العجوز: حينما يخضر الغسق جميل، ليت لي عينين حتى أرى المنظر. هو أخضر والناس خضر والغسق كذلك، يا لروعة اللون. قلت لهم سيرجع...

(يتجول في المكان، يحاول تنظيفه وتجميله، يكنس فيزيده وساخة، يرش الماء يغني مبتهجاً)

العجوز: لم يصدقني أحد، لكنهم حين يرونه أمامهم، يرتدي الأخضر، والناس من حوله خضر خضر، يعرفون إنني لم أكن مجنوناً.. سيوقفهم عند حدّهم: لا الانتهازي الحقير يتجاوز، ولا ابني يطردني ويضربني أمام الناس، ولا ابن الشارع يضحك عليّ..

(يدخل الابن الأصغر، وهو رجل نحيف وكئيب)

الابن الأصغر: أليس لذلك نهاية؟

العجوز: رحّب بأبيك أولاً.

الابن الأصغر: بم أرحب وقد جعلتنا علكاً في أفواه الناس!

العجوز سمعت الخبر وجئت تلقي

: التحية.

الإبن الأصغر: رجعنا ثانية!

العجوز: هذه المرّة فقط، لا أوهام ولا أحلام.

الإبن الأصغر: قلتَ ذلك من قبل ومن قبل ومن قبل...

العجوز: إنظر إلى نفسك تجد الدليل، ألست أخضر مثلك مثل الباب والسقف والحائط.

الإبن الأصغر: أيها العجوز، أنت عظم انحشر بالعرض في بلعومي.. ابتلعتك كالموسى، فلا أنا قادر على الشكوى ولا أنا قادر على السكوت.

العجوز: يكفي.

الإبن الأصغر: لن أكتفي حتى أفضحك أمام نفسك. كنت وما زلت جباناً تخاف من ظلك، من يصفعك على الخد الأيمن تقدّم له الأيسر ومن يركلك تُقبّل قدمه... وهكذا رضعنا الذل.

العجوز: كنت أبيتُ في العراء كي تكتسوا، كنت ألهث كي تعيشوا بكرامة.. أسهر كي تناموا، أجوع كي تأكلوا...

الابن الصغير: أشبعتنا وهماً، وقيّدتنا بالحلم تاركين العالم يعصف ونحن

نتمنى، الأرض تمور ونحن مسمار في لوح... الدنيا تتغير بسرعة وأنت مجرد أسطوانة قديمة.

العجوز: لا بأس، لا بأس.

الابن الأصغر: لا شغل لك إلا أن تحلم بالغد: غداً، غداً... ولا شيء أتعس من الغد... تشكو من الجار وبيتك ينفرد عن كل البيوت ويقع على حافة الدنيا، تشكو من المؤجر وبيتك ملكك، تشكو ممن يطاردك بينما لم يرك أحد منذ سنين!

العجوز: قد يعلم أخوك بما تقوله...

الابن الأصغر: لن يعلم، ولا يهمه أن يعلم. لقد هرب منك ومن حماقاتِك. استغلّك وأخذ كل ما تملك وذهب وراء ملذاته، وربما قُتل كما قالوا أو اختفى أو عمل في التهريب...

العجوز: لا تسِئ إلى سمعته.

الابن الأصغر: أي سمعة، هو مجرد لص قذر يطفر على بيوت الناس. ياما سبّب لنا المشاكل وأودعونا السجن بسببه.

العجوز: اصمت.

الإبن الأصغر: لقد أعماك تماماً. ألا تذكر أنه رمى بك من فوق السلّم وأصبتَ بالعمى.

العجوز: أنت فعلتَ ذلك.

الإبن الأصغر: لدي هموم تُحني ظهري، لدي من الدخان ما يكفي لخنق الكون كله... إنني ألهث ككلب. إياك أن تطلبني ثانية...

(يهم بالذهاب)

العجوز: صدّقني هذه المرة وسأكون كما تريد.

الإبن الأصغر: أصدقك، وقد طردتني في ليلة مظلمة، ممطرة، عرّيتني أمام البرد والبطالة... أتريدني أن أكافئك على ما فعلت بي... الآن أردّ لك الإهمال.

العجوز: أنا فعلتُ ذلك؟

الإبن الأصغر: كنتَ تملك الكثير، لكنك لا تملك العقل، بذّرت أموالك وأعطيته لهذا وذاك حتى ضحك منك الجميع وفرّوا من حولك بعد أن فقدت الجاذبية.

العجوز: ألن تنتظر أخاك؟

الإبن الأصغر: حتى إن جاء، أتمطر ذهباً، أم يطير البعير، أم تثمر النخلة اليابسة؟

(العجوز يسمع طرقاً على الباب، فرحاً يهرول)

العجوز : (للابن الأصغر) أخوك، أخوك. لن أخبره بما قلت، لكن كن عاقلاً.

(العجوز يحضن الهواء، يشمه ويقبله، يظن أن الابن الأكبر قد سمع الحوار السابق، وهو غاضب الآن من الابن الأصغر، يتصور معركة حامية بين الطرفين، ويقف حائلاً بينهما)

العجوز : ليقبل كل منكما الآخر.. هيا.. ما هذا؟ إنه أخوك الأكبر.. كفى يا أولاد.. ليس بينكم.. (للأكبر) أعلم أنه عاق، وأنه يشتمني، ولم يساعدني بفلس واحد منذ غادرت إلى المجهول، لكنني أسامحه فهو لا يقصد، (للابن الأكبر) كفى أنت الآخر، إنه أناني نوعاً ما لكن قلبه كالحليب. وأنت (للأصغر) لا ترد على أخيك الكلام. ماذا، ستتقاتلان أمامي. اترك أخاك الأصغر، وأنت، لخاطري، لا تضربه، لا ترد الضربة، سيتعقل، لا، لا، ألا تحترمان وجودي؟

الابن الأصغر: انقطع آخر سلك في عقلك. حضّرْ أشياءك، اذهب إلى دار العجزة، ومُتْ هناك بالسرطان.

(يغادر)

(يبحث العجوز عنهما، يصطدم بالجدران، لا أحد)

العجوز رحلتما معاً.. ابقيا معي فلم يبق

:

لي الكثير.. هي أيام معدودة
وأغادر أنا الآخر، أيام معدودة
أعيشها بسلام، بعد أن شابت
الروح والجسد، أليسَ من حقي
أن أعود طفلاً كما كنت، طفلاً
أتدلل على أطفالي.. أنتم
تعلمون إنني لا أملك سوى
التعب ولم أر إلاه... (مخاطباً
الابن الأكبر) لِمَ ذهبت سريعاً..
لقد انتظرتك، انتظرت أن تهلَّ
مع القمر في ليلي الحالك،
انتظرت أن تريح شيبتي وتُقيل
عثرتي، انتظرت أن أتكئ عليك
في عجزي... انتظرتُ..
انتظرت...

**

المشهد الثاني

(يتحرك العجوز بين الباب والنافذة، متأملاً مرة، ويائساً من قدوم أحد مرة.. يسمع صوت (المبشر) وهو يصيح: البشرى البشرى، يتلاشى الصوت ثم يعود، يخفت الصوت ويتلاشى، يضع العجوز يداً على كل خد ويضيع في دوامة الصمت)

(يدخل المؤجر من اليسار والمبشر من اليمين)

المؤجر : لملمْ أغراضك، هيا، سأرميك إلى المستنقع الذي خلف المدرسة.

المبشر : أبشرْ، فقد حلمتُ البارحة.

المؤجر : تمصُّ الناس دمكم ليل نهار، وما أن يطالب صاحب الحق بحقه حتى تتهربون.

العجوز : (ببرود) يقول إنه حلم..

المبشر: نعم حلمتُ.

المؤجر: ماذا سأقبض من مجرد صورٍ صامتة؟

المبشر: ابنك يعبر البحر الآن، أمامه اليابسة وخلفه القراصنة.

العجوز: تباً!

المؤجر: تباً لك.

المبشر: وصلَ اليابسة، مُحمّلاً بالحقائب.

العجوز: حقائب؟

المؤجر: حقائبه فارغة دائماً.

المبشر: وحين سألتُ الحكيم الأزرق...

العجوز: ألم يكُنْ أخضر...

المبشر: اللون ليس مهماً، قال:

المؤجر: أي لون أيها الأحمق...

العجوز: إنك مخادع..

المؤجر: أتسمّي المطالبة بالحقِّ خداعاً؟

المبشر: أنا، لا. قال:

الحكيم الأخضر: إذا لم يأت اليوم فسيأتي بعده بيوم، أو بعده بيوم، فليطمئن العجوز ولتتحرك يده، حتى يأتي عيده...

العجوز: لم تترك لي فراشي حتى..

المؤجر: هذه تهمة، من أخذ فراشك؟

العجوز: السنون تمضي ولم يحصل ما قلت.

المبشر: الصبر الصبر.

العجوز: لقد مللت.

المبشر: خطر عليك هذا الكلام.

العجوز: كل يوم تقول شيئاً جديداً، مغرياً، لكن لم يتغير شيء.

المبشر: ولم تريد تغيير كل شيء دفعة واحدة، العافية بالتدريج..

العجوز: سيرميني الصبر والتدريج إلى القبر.

المؤجر: يا ليت.

المبشر: يقول الأخضر: إذا سعى الإنسان وراء نزواته، فقد حياته.

العجوز: أنا ذاهب.

المبشر: وتكسر أوامر الحكيم.

المؤجر: وحقي؟

المبشر: قال الأخضر: فلينتظر، لا يذهبنَّ إلى أي مكان، الانتظار خير له. ليبق حيث هو حتى تجيء الرؤيا.

المؤجر: حقي يا ناس، إنه يأكل حقي..

العجوز: (للمبشر) وقد لا تأتي.

المؤجر: سأغلق الباب.

المبشر: إذن هي الداهية. قفْ مكانك. لو خرجت من هنا تموت: أنت سمكة مكانها حوض الماء. ثِقْ بي وبالأخضر.

العجوز: لن أثق بغير نفسي.

المؤجر: حقي.

المبشر: لقد حلم أخيراً...

العجوز: الأحلام تولد أحلاماً وتموت أحلاماً.

المبشر: صدقني.

العجوز: كذّاب.

المؤجر: لا تتجاوزْ.

المبشر: ولدك يحمل لوناً من كل لون...

المؤجر: لا تخرج..

المبشر: انقلبت الدنيا، أنت هرم لا تستطيع أن تذهب، هنا على الأقل تجد المأوى.

المؤجر: أعطيتك المأوى الذي يفتقر إليه الآخرون، أهذا جزائي؟

المبشر: قفْ، الحكيم الأخضر، لديه نصيحة أخيرة لك، أنصت إليه، إنه يغضب: يحمرُّ غضباً، يصفر، يخضرّ.. سينفجر الحكيم.

المؤجر: سيفجر المكان..

العجوز: أتظنانني ضعيفاً.. إنني قوي، قوي.

المبشر: جُنَّ العجوز.

المؤجر: الحقوني!

المبشر: الحقني أيها الأخضر.

العجوز: أُخرجا من بيتي.

(يطاردهما، ويهربان كل في الاتجاه
الذي أتى منه)

**

المشهد الثالث

(في لحظة ما يجد المرء الوحشة وقد خيمت على العالم وعلى نفسه، حينها قد يفكر في أن يتخلص من كل ألمه الممض العميق، وقد يمشي في درب يجد في نهايته نبتة خضراء أو حنظلاً... العجوز، وحيداً، تحيطه بقعة الذاكرة، حيث تمر عليه أيامه السالفة، متداخلة، عشوائية، بلا هدف... شريط كامل يمر أمامه، طفلاً، وشاباً وكبيراً، صغاره وزوجته، الناس، والليل، والحرمان...)

العجوز : لن يعود.. لن يقبلني ويدعوني إلى مسامحته، لن أرتمي باكياً في حضنه، يكفكف دموعي، يعاقب أخاه على عقوقه، ويصالحنا، يعيد شمل العائلة، يُرمّم المكان الذي خربوه... لن..

(طرق على الباب)

(الابن العائد يقف في وسط الباب، طويل، نحيل، مترب)

العجوز: جاء. ولدي الحبيب. هو. تعال... (يحضنه) أجل أكثر، أكثر...

الابن الأكبر: (لا يحضن أباه بل يقف كالتمثال) تعبان.

العجوز: (يركض في كل مكان) تعبان، مِنْ حقه، عليه أن يرتاح... فلذة كبدي.

(يدخل الابن ويضطجع، يحاول الأب احتضانه، فيقول)

الابن الأكبر: جوعان.

(العجوز مهرولاً من جديد، لا يجد طعاماً، يخرج إلى الجار، نسمع صياحاً وضجة، يبدو أنهم يضربونه ويطردونه يرجع وقد أدماه الضرب)

العجوز: من السفر، حقه، حين يرتاح من التعب ويشبع من الجوع، سيرتمي في حضني ويفتح الحقائب.

الابن الأكبر: نعسان.

(مهرولاً كي يوفر الفراش، لا يجد، يخرج إلى بيت الجار، نسمع جلبة أقوى من سابقتها، يعود العجوز وهو يتصبب دماً ويعرج)

العجوز: فراش.

(ينام الابن الأكبر والعجوز واقف على رأسه وقد هده التعب)

العجوز: لقد تغيّر، هو نحيل جداً، ومُتْرَب.. من السفر. لكن السفر لا يفعل ذلك. لا. أكيد تعب السفر، السفر ليس لعباً، إنه مشقات تتلوها مشقات، غربة وذل وخوف. (صمت). لم يقلْ لي كيف حالك، ولم يبكِ على صدري. هو لا يحب البكاء، يقول: لا أحب الضعف وأكره كل ضعيف. نعم لقد قال أنه لا يحب الضعيف. هو ضعيف الآن. لا. بل هو سمين جداً، حتى إنه لم يدخلْ من الباب إلا بالقوة بعد أن فتحته على مصراعيه. والحقائب، نعم الحقائب أتعبته. يقال أن أربعةً لم يستطيعوا حملها، بل عشرة. مَنْ صبر ظفر وها هو يومي.. الآن ظهري قوي...

(يستمر في الهمهمة التي تنخفض شيئاً فشيئاً، يرتعش ويسقط على الأرض بالقرب من ابنه الذي يشخر، النوبة تتصاعد

ويتصاعد ارتعاشه مع تصاعد موسيقى غريبة وشخير الابن وتصاعد الضوء الذي يخرج من مكان ما إلى أعلى

فأعلى، ثم....)
(إظلام)

(انتهت)

كُتبتْ النصوص بين عامي 1997-2002)

***

المحتوى

***